المشاهير

٣

أحمد الصافي النجفي

شاعر الحياة والعروبة



تركي كاظم جودة



دار ثقافة الأطفال
قسم النشر
سلسلة المشاهير
٣

سعر النسخة : ٥٠٠ فلس

رقم الأيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٢٣٧) لسنة ١٩٨٩

دار الحرية للطباعة

اسم الكتاب : أحمد الصافي النجفي .. شاعر الحياة والعروبة
تأليف : تركي كاظم جودة
الطبعة العربية : الأولى
سنة النشر : ١٩٨٩
الناشر : وزارة الثقافة والأعلام ـ دار ثقافة الأطفال
العراق ـ بغداد ـ ص.ب ٨٠٤١

٣

سلسلة المشاهير

تصدر عن قسم النشر في دار ثقافة الأطفال
المدير العام : فاروق سلوم
سكرتير تحرير السلسلة : فاروق يوسف

أحمد الصافي النجفي

شاعر الحياة والعروبة

تأليف
تركي كاظم جودة

لوحة الغلاف للفنان : سامر أسامة

المسح الضوئي: د.نزار حبيب عباس
الأعداد الفني: أحمد هاشم الزبيدي

تنويه : تم اعداد هذا الكتاب عن نسخة الصديق (د. نزار حبيب عباس) والتي تفضل بنشرها مشكوراً في صفحته في الفيسبوك مع كتابين آخرين (علي الشرقي) و (جميل صدقي الزهاوي)، وقمت باعدادها ونشرها من جديد ضمن مشروع جمع السلسلة واعادة ارشفتها الكترونياً في موقع (عرب كومكس) ومن الله التوفيق.

احمد هاشم الزبيدي
نيسان (ابريل) ٢٠٢٠م

المقدمة

أحمـد الصـافي النجفي شاعـر من الجيـل الاول الـذي اسهم في النهضـة الادبيـة في مطلع هذا القرن وقد اختط له منهجا يميزه عن بقية شعراء جيله الذين شغلوا انفسهم بشعر الاخـوانيات والمناسبات الخاصة، فقد تميز شعره بالتجديد ونظمـه في مواضيـع مبتكرة تختلف عما عند غيره من شعراء عصـره من حيث الاغـراض الشعـريـة التقليدية التي تعارف عليها الكثير من شعراء جيله.

والصـافي انساني النزعة، رقيق القلب، متقد الاحساس والشعـور، فياض العاطفة، صادق في تعبيره، أمين في نقل أحـاديثـه، يستهـويـك من اشعاره تلك الصور الجميلة التي تمتزج فيها الدعابة المرحة بالسخرية المرة.

واحمـد الصـافي النجفي واحـد من شعراء العرب الكبار وعلم من أعلامهم الذين عرفوا بحبهم للانسان ولأمة العرب ممن رفـدوا المكتبـة العربية بعطاءاتهم الثرة التي تشهد لهم بعلو الهمة من أجل رفعة هذا الوطن.

لذا وددت أن يطلع قراؤنـا الاعـزاء على حياة وشعر واحد من شعرائنا الذين خدموا الانسانية من خلال عطائهم بكل ما اوتوا من قوة غير هيابين مما ينالهم من كيد الطامعين، وليس لهم سوى العمل الصالح خالصا لوجه الله والمجتمع.

تركي

ولد الصافي سنة ١٨٩٧م بمدينة النجف الاشرف . . منهل العلم ومعين الادب، وينبوع المعرفة . .

في وسط هذه المدينة العلمية نشأ شاعرنا وترعرع تحف به نخبة من أقرانه الذين اتخذوا من المحافل العلمية والمنتديات الادبية أماكن لتلقي العلم واكتساب المعرفة، وذلك لخلو هذه المدينة من المسليات ومتع الحياة . .

تحصيله العلمي

بدأ دراسته وهو في سن الخامسة إذ أدخله أبوه (كتّابا) لتحفيظه القرآن الكريم، وبعد مضي ثلاث سنين خرج منه ودخل كتّابا اخر أتقن عنده قراءة القرآن وحفظه على أكمل وجه، وكذلك أتقن الخط فقد كان فيه مجيدا لا يجاريه أحد من أقرانه الذين يدرسون معه والذين سبقوه في الدراسة ممن يفوقونه سنا. وهذه بادرة تنبىء بأن أحمد الصافي كان منذ الصغر ذا ذكاء حاد ونبوغ مبكر وفصاحة ناصعة. حيث انه كتب الشعر وهو في هذه السن - أي العاشرة من عمره - فأجاد بصياغة المعنى وحسن التعبير وسلاسة الاسلوب . .

وحين بلغ الحادية عشرة من عمره فوجىء بخبر وفاة والده الذي مات بمرض الكوليرا وهو الوباء الذي كان يجتاح البلاد بين حين وحين تاركا وراءه البكاء والعويل . . وما ذلك إلا تهاون من الحكومة لمكافحة مثل هذه الامراض وقتذاك .

كانت وفاة والده صدمة كبيرة يتلقاها الفتى الشاعر وقد بددت النور من أفق حياته . . ثم نراه إثر هذه الصدمة لا سيما وهو نحيف البنية قد تقمصته الامراض التي بقيت تلازمه حتى وفاته .

وبعد وفاة والده كفله اخوه الاكبر السيد محمد رضا الصافي فأحسن تربيته وأجاد تعليمه، وقد تتلمذ على أيدي اساتذة كبار، لتعلم الاداب والعلوم الاسلامية . .

وعندما ناهز السابعة عشرة من العمر هبطت عليه الهموم من كل حدب وصوب إذ توفيت والدته وخلفت في نفسه الكآبة والاحزان فلازمته الامراض وازدادت عما كانت عليه سابقا . . ولا عجب إذا وجدنا معظم قصائده مليئة بالأسى والألم والتبرم العنيف . .

مواقف وطنية

كلنا نعرف أن الاستعمار يحاول دائما أن يستعبد الشعوب ويحارب الاحرار الذين يؤمنون بحرية أوطانهم، وكلنا نعرف أيضا أن الاحرار لا يستسلمون لرغبات المستعمر ويضحون بكل غال ونفيس ليبددوا كل ظلام يحاول أن يخيم على بلدانهم.

وهكذا كانت الحال في النجف الأشرف حينما ثار ثورته المعروفة عام ١٩١٩م ضد الاستعمار الانجليزي الذي جاء بكل معدات الحرب الفتاكة التي تستخدم لتدمير البشرية، في حين كان الثوار لا يملكون سوى الايمان بالحق والحرية. فقد دفعت بهم كرامتهم التي تأبى الذل، وعزتهم التي لا ترضى بالهوان وعقيدتهم التي لا تقر الجور والاستبداد وآمالهم القومية التي ينشدونها: انهم إذا ما وقفوا بوجه العدو وخاضوا المعركة وبذلوا الارواح رخيصة في سوح الوغى، فهم سيلحقون بالعدو الدمار والخذلان..

وفعلا بدأ نشاطهم الجهادي، فالمحادثات تترى، والاجتماعات تتوالى، والمؤتمرات تنعقد واكثرها كان في دار عائلة الشاعر..



وذات ليلة تجمع الثوار وقرروا الهجوم على سراي الحكومة الذي كان مشحونا بجنود الانجليز وقسم من الشرطة العرب . . وكان عدد الثوار يتراوح بين ثلاثين واربعين ثائرا ، يقودهم الحاج نجم البقال ، الثائر الذي عرف بجرأته ووطنيته الحقة و مواقفه الحازمة ضد الاستعمار. وقد تم تنفيذ القرار فقد هجم الثوار على سراي الحكومة وقتلوا الحاكم الانجليزي ، كما قتلوا قسما ليس بالقليل من الجند الانجليز. أما الثوار فقد جرح منهم اثنان . .

وبعد هذه الحادثة تزايد عدد الثوار حتى أصبحوا قرابة الثلاثمئة مجاهد بعد أيام قلائل . أما موقف شاعرنا في هذه المدة فهو بث روح العزيمة والاقدام والمثابرة في نفوس المحاربين الثوار والقاء القصائد الرنانة التي تشحذ الهمم والتي كانت معينا لا ينضب يرتشفون منه معاني التضحية والجهاد في سبيل الحرية والاستقلال . .

ولكن الحكومة الانجليزية حينما رأت ما حل بحاكمها في سراي النجف والثورة التي أعلنها أبناء النجف ضدهم سحبت جيشها الذي يرابط في حدود الموصل بعد أن قضى على الاتراك وجاءت به الى النجف لتطوقها وتترك أهلها

تحت الحصار أربعين يوما . وكان عدد الجيش الانجليزي يزيد على الاربعين ألفا بمعداتهم الحربية من مدافع ورشاشات وقنابل الى غير ذلك من الاسلحة الفتاكة ، وقد ضاق الاهالي ذرعا بهذا الحصار الذي اذاقهم الجوع والدمار . ولكن نفوسهم العامرة بالايمان وقلوبهم التي يغمرها حب الوطن وتتغلغل فيها معاني الحرية المنشودة هونت عليهم الخطب وجعلتهم يثابرون ويقاومون حتى النهاية ، ولكن أنى لهم ومدافع العدو تلعلع في الفضاء وطائراتهم تلقي الرعب بأزيزها ورائحة البارود تزكم الانوف. وانتهت الثورة بعد ان استطاع العدو بمعاونة بعض أصحاب النفوس المريضة الذين فتحوا له الطريق ليدخل البلدة ويحتلها عسكريا .

ولن يلبث الجيش المحتل أن استولى على أغلب الثوار داخل البلدة وكان قد نصب المشانق بعد أن أعد لها ثلاثة عشر بطلا عدا الذين شملهم النفي الى الهند .

ثم فتح الجيش المحتل أبواب سجونه بعد شنقه الابطال الثلاثة عشر الذين كانوا ضحايا على مذبح الحرية ومثلا رائعا يقتدى به للتضحية والجهاد ، ليزج بها من يشم منه

رائحة الوطنية أو ما شابهها. ففر من فر، واختفى من اختفى، وكتم أنفاسه من وسعه أن يكتم. فكان لسان حالهم - أي الثوار الاهالي - كما قال بشارة الخوري في ديوانه «الهوى والشباب».

ألجمْ لسانك ألجمِ
فالموتُ للمتكلّمِ
لا يسألونك إن اخذ
تَ أثمتَ أم لم تأثمِ
فالحبل شرّ مرحّبٍ
والعنقُ خير مسلّمِ
والسجن اكرم صاحبٍ
والنفيُ أيسر مغنمِ

أجل لقد فرّ البعض واختفى الآخر خوفا من النفي والسجن والاعدام. وعند ذلك ترك الصافي بلدته على غير رغبة منه يصحبه صديقه الثائر السيد محمد علي كمال الدين متجهين نحو البصرة. فذهبا الى بلدة الخضر مخترقين خط

الحرب القائم بين قوات الانجليز والاتراك.. ولكنهما وقعا في شباك الاتراك وكادا أن يعتقلا بتهمة التجسس لولا أن رشيا الجنود الذين أخلوا سبيلهما وسارا بعد ذلك تاركين وراءهم قوات الانجليز والاتراك تتنازعان على امتلاك هذه الدولة ونهب خيراتها وثرواتها.

وعندما بلغا البصرة افترقا.. أما شاعرنا فقد أخذ يبحث عن عمل.. وذات ليلة بينما هو جالس على ضفاف شط العرب مطلقا لخياله العنان تجاه تلك المناظر الخلابة التي تتراءى للناظر وكأنها جنة عدن وقد سرح بتفكيره وكأنه يستعرض ما رآه من جديد، أو كأنه يبحث عن أسرار الكون، ولكن قطع سلسلة هذا الاستعراض صوت من خلفه فالتفت ليرى شرطيا من العرب يستخدمه الانكليز وهو يقول له:

- من أين أنت؟

فاحتار الاستاذ الصافي بماذا يجيب؟ أيقول انه من النجف؟ طبعا لا، إذ أنه لو قال ذلك لاعتقل من دون شك بحجة أن النجف ثائرة ضد الانكليز. ولكنه سرعان ما اهتدى لرأي فقال:

- أنا قادم من المحمّرة. فقال له الشرطي مستغربا.

ـ أأنت من المحمّرة؟ أنا أعرف جميع أهل المحمّرة إلا أنت فكيف تدعي ذلك؟

فاجاب شاعرنا وهو يتفرس وجه الرجل البوليس قائلا:

ـ لابد انك حديث العهد في هذه الوظيفة، والا كيف تدعي انك تعرف الجميع إلاي.. كيف لا تعرفني؟ انظر إلي جيدا، حدّق بي.. هه، أما عرفتني؟ وهنا يظهر أن البوليس الانجليزي قد سحرته هذه الكلمات فاجاب بعد حدق فعلا في وجه الشاعر بقوله:

ـ أجل.. بكل تأكيد.. أنا أعرفك جيدا وقد رأيتك مرارا. ثم تركه وذهب بعد ان أبدى اعتذاره عما بدر منه.

ولم تمض على هذه الحادثة إلا أيام حتى نفدت دراهم الشاعر الصافي إذ أنه لم يجد عملا، فلم يكن منه إلا أن يعرض ساعته للبيع بالمزاد العلني، فشرع السمسار بالمزايدة، وعندما رسا البيع على أحدهم طلب من الشاعر كعادة الدلالين كفيلا. فتحير من أين يأتي بالكفيل وهو الذي لا يعرف أحدا في هذه المدينة. وبينما هو يفتش عن ضامن أو قل عن مخرج ينقذه من هذا المأزق الذي سيدخله في سؤال وجواب تكون عاقبته الاعتقال واذا فجأة ظهر الشرطي

المذكور سالفا وهو يقول: أنا أكفل هذا الرجل، فانا أعرفه.. انه من أهل المحمرة فتنفس الشاعر الصعداء بعد أن مرت هذه الحادثة بسلام. ولكنه قرر مغادرة البصرة، فسافر مستقلا سفينة شراعية متجها نحو الكويت.

وهناك أبدى محاولاته للعثور على عمل ولكنه كان يعود بالنتيجة نفسها فاشلا غير موفق. فاضطر الى أن يلجأ الى عمل مضن. عمل لم يمارسه من قبل ألا وهو البناء، فاشتغل نهارا كاملا وهو يحمل الطابوق تارة ويغربل الجص تارة اخرى، ولفحات الشمس تلهب وجهه واوامر (الاسطة) شديد اللهجة تهز كيانه.. وما كاد ينتهي ذلك اليوم حتى شعر بنفسه توشك أن تسقط من شدة التعب، ولكنه تدارك الأمر وترك العمل قبل تسلم الاجرة، ومن جراء عمل هذا اليوم سقط مريضا في الفراش، وقد شلت حركته حتى لم يعد يقوى على السير، ولما شفي من مرضه غادر الكويت متنقلا عبر شط العرب من قرية الى قرية وقد لقي من المتاعب والمصاعب مالا مجال لذكره، واخيرا استقل باخرة أوصلته الى البصرة ومن هناك سافر الى النجف وحينئذ كانت الجيوش الانجليزية قد احتلت بغداد. وقد وصل أهله بعد

غياب دام تسعة أشهر وكانوا قد يئسوا من عودته .

لقد تحمل الصافي كل ذلك في سبيل عقيدته الراسخة بحق امته بالعزة والكرامة والحرية والاستقلال وقد كان حتى وفاته شعلة وهاجة من شعور، وبركانا ثائرا من همة . فما خارت له قوى، ولا فترت له عزيمة، ولا لانت له قناة . لقد أعطانا الصافي أمثلة مشهودة على حبه لوطنه وأمته وقدم لنا أدلة على تضحيته وجهاده في سبيل الحق، والحفاظ على تراث الامة وعزتها وكرامتها .

كيف وصل لبنان ومتى؟

وفي سنة ١٩٤١م أمرت السلطات الانجليزية باعتقال الشاعر عند دخولها لبنان وقد كان الصافي هناك بعد سفرته الثانية نهاية عام ١٩٣٠ فسجن مدة ثلاثة واربعين يوما في إدارة الأمن العام الفرنسية ببيروت . وقد نظم في غضون مدة سجنه ديوان شعر أسماه (حصاد السجن) ندد فيه بالمستعمرين وسخر من أساليبهم الدنيئة وتعسفهم الوحشي . وبارك السجن حين علم ان جرمه هو خدمة وطنه واعتبره جنة الخلد حيث قال :

حبستُ وضاق الحبس بي حين زج بي
الى غرفةٍ ظلماء محكمة السدِّ
فقلت : علام الحبس لا أنا سارق
ولا اثمٌ عمدا ولا دون ما عمدِ
فجاءدنيٌّ باع عزَّ بلاده
لكي يشتري النزر الخسيس من الرفدِ
أتى لابسا تحت السواد من الدجى
سوادا على قلب، سوادا على جلدِ
جرى مسرعا ينساب نحوي مباغتا
كصلٍّ بدا من فوهة الحجر الصلدِ
وراح يصبُّ السم من فيه ناقعا
على أذن تستقبل السم كالشهدِ
مضى شارحا ذنبي إذا الذنب انني
خدمت بلادي قلت ويحك من وغدِ
فانك قد البستني تاج سؤدد
وملكتني عرش الفخار بلا قصدِ
ولما رأيت الذنب خدمة موطني
حلا السجن حتى خلته جنة الخلدِ

ولم يفتّ السجن في عضده ولم يهن من عزيمته فقد تحدى الاستعمار وهو في سجنه فقد قال أبياتاً بعنوان (اعلان الحرب) وهو داخل السجن :

خسئت انجلترا
والله أعمى مقلتيها
قبرها في كل أرض
حفرته بيديها
سجنتني دون ذنب
غير لعني ابويها
أمنت حربي، وسجني
يعلن الحرب عليها

واذا كان يرغب في الخروج من السجن فذلك ليرى نهاية المعتدي الغازي الذي هو أجبن من أن يصمد أمام صولة الحق ويقظة الشعوب، فقد قال من مقطوعة بعنوان «موت المعتدي» وقد كتبها وهو في السجن أيضا :

لقد سجنت بكف أجبن أمة
بالرجل تركض للممات وباليدِ

مارمت من سجني الخروج مسارعا
إلا لانظر كيف موت المعتدي

وقد مرض الشاعر في السجن واشتد عليه المرض وكان الانجليز يخاتلون ويماطلون بنقله الى المستشفى يعللونه بأنهم أبرقوا الى حكومة العراق مستفسرين في سبيل الافراج عنه وهي وعود أوهى من خيط العنكبوت ولما أضرّ به الالم قال ساخرا وما أحلاها سخرية يقذفها كحمم البركان.

حكومة لبنان قد راجعت
فرنسا لفكي فلم تسطعِ
وراحت فرنسا الى الانجليز
تراجعهم جلَّ من مرجعِ
وقد راجع الانجليز العراق
ولليوم بالامر لم يصدعِ
فقلت اعجبوا أيها السامعون
ويا أيها الخلق قولوا معي
أمن قوتي صرت أم ضعفهم
خطيرا على دول أربعِ ؟؟

ولم يكن نادما على سجنه ولا مبتئساً، فقد كان متشوقا له ينتظر دخوله منذ ثلاثين سنة فوفّق لذلك حين خاب غيره! ولنسمع البيتين التاليين اللذين قالهما في السجن وقد وضع لهما عنوان (لقد توفقت)..

سجنتُ وقد مرت ثلاثون حجة
من العمر فيها للسجون تشوقتُ
سعى دعبلٌ للسجن طول حياته
فخاب وفي المسعى لسجني توفّقتُ

وهو بهذا يشير الى كلمة دعبل الخزاعي المعروفة: «لقد مرّت عليّ أربعون سنة وأنا أحمل خشبتي فلا أجد من يصلبني عليها».

وعندما حدث الاعتداء الثلاثي على مصر الشقيقة عام ١٩٥٦م كان الشاعر مسجّى على فراش المرض، وقد طرق سمعه خبر هذا الاعتداء الغادر فماذا كان موقفه؟ لنسمع رأيه حيث قال:

«كنت في هذا الأوان وأنا تحت وطأت المرض استمع الى أنباء هذا العدوان الغاشم. فماذا جال في خاطري انذاك؟ هل أنظم شعرا وأرسلها قصيدة وأقول كفى الله

المؤمنين شر القتال؟ لا والله لقد بكيت لأني مريض لا أقوى على الذهاب الى ساحة المعركة للجهاد في سبيل الحرية والعروبة.. وبينما أنا أكفكف أدمعي أمسكت بالقلم فساني اترجم هذه الاحاسيس بقصيدة فلم استطع إلا نظم هذين البيتين.

بكيت على أن لا اساهم في الحرب
وقومي صرعى يقتلون بلا ذنب
هم العربُ قومي ينجدون سواهم
فان لم أذد عنهم فلست من العرب

ورد هذا في مقال للاستاذ عبد الرزاق الهلالي بعنوان «أحمد الصافي يتحدث للايام» في جريدة الايام العدد ١٨٣.

هذه نماذج من مواقف الصافي الوطنية في سبيل الوطن والأمة والحرية والكرامة، وهي مواقف تبرز ناصعة لتدل على حب الشاعر لوطنه وتشير الى صموده المتعاظم أمام التيارات الجارفة وألاعيب الاستعمار الدنيئة.

رحلة الصافي الثانية

بعد ان عاد الصافي من رحلته الاولى المكلّلة بالمخاوف والاخطار والتي استغرقت تسعة اشهر، لم يمهل نفسه ان يستريح من عناء السفر، بل اخذ يعمل بكل مالديه من حول وقوة في سياسة العراق لتمهيد السبل الى ثورة العراق العارمة ضد الانجليز، الثورة التي شملت جميع ابناء الوطن، وجمعت جل فتوته تحت لواء واحد. لواء الحق والعزة والتعاضد والاخاء، فقد وقفت هذه الجموع من ابناء الوطن في وجه العدو الغاشم وقفة رجل واحد، فقد حاربوا وناضلوا وقابلو العدو بقلوب عامرة بالايمان متطلعة الى الحرية وهم يطلقون صرخاتهم المدوّية مطالبين باسترجاع حقوقهم المغتصبة. تلك هي ثورة العراق الكبرى سنة ١٩٢٠م

لقد بذل احمد الصافي ما في وسعه للتمهيد لهذه الثورة التي كانت بذورها ارواح المواطنين الاحرار وحصادها الاستقلال فكان بيته مقرا للخطباء والشعراء وكبار الساسة الوطنيين، يدبرون الخطط ويوزعون المهام ويبثون الافكار القومية ويشيدون بمحاسن الحرية. ولكن شاء للجيش العراقي ان ينكسر في تلك المنطقة بعد بلوغ الجيش

الانجليزي حدود الكوفة، فما كان منه - اي الصافي - إلا ان يقبع بستار الليل المدلهم خشية ان يقع بيد الاعداء هاربا الى ايران، وقد صحبه هذه المرة ثلاثة من زملائه ومن المشتغلين بالثورة ايضا، احدهم صديقه المرحوم سعد صالح رئيس حزب الاحرار العراقي وزير الداخلية في وزارة توفيق السويدي سابقا. والثاني هو السيد محمد علي كمال الدين زميله الذي رافقه في رحلته الاولى، اما الثالث فهو الشيخ علي الدشتي. وقد غادروا النجف عن طريق الجزيرة بين دجلة والفرات، وقبل ان يبلغوا مدينة الحي افترقوا حيث ذهب الاولان سعد صالح ومحمد علي كمال الدين الى العمارة ثم الكويت، اما الصافي والدشتي فقد ذهبا الى الحي ومنه الى كوت الامارة ذي قار حاليا وبعدها ذهبا الى طهران مجتازين صعوبات جمة وطرقا وعرة في جبال جلوان اذ كان طريق خانقين مقطوعا بسبب الثورة القائمة.

وما ان وصل الصافي الى طهران حتى قرأ في الصحف من أن اخاه الاكبر السيد محمد رضا الصافي قد اعتقل من قبل الحكومة الانكليزية لاشتغاله في الثورة ضدهم ولجعل بيته مقراً للثوار، فقد سجنوه خمسة اشهر ووضعوا امامه

المشنقة بعد ان حلقوا له رأسه تهديداً له كي يستجيب لرغباتهم ويترك ما قام من اجله، ولما لم يجدهم السجن والارهاب نفعا اخلوا سبيله. وكان قد نظم وهو في السجن خمسة أبيات بعث بها حين خروجه من السجن الى اخيه الشاعر في طهران. فتسلمها الاستاذ الصافي وبعد قراءتها خمّسها واعادها له وهو بدوره بعثها الى الاب انستاس الكرملي لينشرها بمجلته (لغة العرب) واليك الابيات وتخميسها:

إننا في سوى العلا ما رغبنا نملأ الكون رهبة إن غضبنا
ماجزعنا للسجن يوم غلبنا «إن من رام مثلما قد ،
«لايبالي إن سيق للسجن سوقا»

نحن قوم عن العلا ما قصرنا حيثما دار كوكب العز درنا
واذا جار حادث الدهر جرنا «رخصت عندنا النفوس فثرنا
«نطلب العز والعلا لا لنبقى»

قد خلقنا دون الورى أحرارا وامتلكنا التيجان والامصارا
وجعلنا لنا المعالي شعارا «ولقد سامنا العدو احتقارا»
«فرآنا نستسبق الموت سبقا»

إن ذلي موتي وعزي حياتي ما انثنت للعدو يوما قناتي

أنا فرع من دوحة المكرمات «أنا من أسرة كرام أباة»
«لا يرون الحياة في الذل أبقى»

أنا لما أسرت لم أبدِ ضعفا لا ولم أرج من عدوّي عطفا
ولقد قلت والردى بي حفّا «شرع أن يكون موتي حتفا»
«أو أراني يكون موتي شنقا»

وبعد أن أقام الصافي في طهران أخذ يدرس اللغة الفارسية، ولم تمض على دراسته سنة حتى تمكن من أن ينشر ويترجم في امهات الصحف، واتاحت له هذه الامكانية الفرصة بالقيام بتدريس الادب العربي في ثلاث مدارس ايرانية. ثم طلبت منه وزارة معارف ايران بعد أن عينته عضوا في دار الترجمة والنشر أن يترجم لها عن العربية الى الفارسية كتاب «علم النفس» ليدرس في دار المعلمين وهو من تأليف الاستاذين علي الجارم ومصطفى أمين فما كان منه إلا أن ترجم الكتاب ترجمة دقيقة. ثم انصرف الى الكتابة في الصحف تحت توقيع السيد أحمد نجفي حتى اصبح محط اعجاب وتقدير كبار الشعراء حتى انتخبه النادي الادبي بطهران عضوا وقلده (انجمن ادبي) وسام العضوية تكريما له وتقديرا لادبه و موهبته. ثم قام بترجمة رباعيات

الخيام الى العربية بعد أن درسها دراسة دقيقة وقرأ ترجمتها العربية بقلم وديع البستاني .

وقد قال الاديب العلامة الملقب بصدر الافاضل :

«أكاد أعتقد أن الخيام نظم رباعياته بالعربية والفارسية وقد فقد العربية منهما فعثرت عليه وانتحلته لنفسك» .

ورد ذلك في الطبعة الاولى من رباعيات الخيام تعريب احمد الصافي النجفي ومن هذه الكلمة يتبين لنا مدى فهم الأستاذ الصافي لنفسية الفيلسوف الخيام وادراك أفكاره ومعرفة اتجاهاته والوقوف على ارائه . فنستنتج ذلك النبوغ المبكر والقدرة الفائقة اللتين يتحلى بهما الشاعر الصافي .

وقد أرسل الصافي نسخا من هذه الرباعيات الى العلامة محمد خان القزويني عضو مؤتمر المستشرقين باكسفورد طالبا رأيه بها وأن يقيسها ببقية الترجمات الشعرية فكان الجواب انها : أقرب الترجمات الشعرية في جميع اللغات الى الاصل .

وكان طوال اقامته في طهران يطالع اكثر الصحف العربية ليكون على علم بما يحدث في العراق من تقدم نحو التحرر والسيادة وحينما علم باستقلال العراق خفق قلبه بالحنين الى

العودة والعيش في البلاد التي تحمل من أجل عزتها شتى أنواع العذاب والالام وعانى في سبيلها التشريد والحرمان . وتزايد هذا الحنين يوما بعد يوم الى أن جاءت سنة ١٩٢٧ اي بعد أن أمضى ثماني سنين بعيدا عن وطنه ، قرر العودة الى أرض الوطن فعاد ليرى شمس الحرية مشرقة في سماء بلاده الحبيبة ، بلاده التي توارثتها أطماع الأتراك وعبثت بها أيدي الانجليز .

****

رحلة طويلة

بعد غيبة دامت ثماني سنوات أمضاها الشاعر مغتربا **عاد** الى أرض الوطن الذي حبا على تربته طفلا وترعرع **في** ربوعه شابا بعد أن صرخ في أعماقه هاتف الحنين، وبعد **ان** تزايد عليه عدد الرسائل التي تصله من الاهل والخلان **تدفعه** فيها للمجيء الى العراق..

وعند وصوله الى بغداد تعرف على الشاعر العراقي **جميل** صدقي الزهاوي الذي أكبر فيه روحه الابية واخلاقه للعقيدة والمبدأ، وقد قدم له قصيدته «الليل والنجوم» **التي** نشرتها جريدة العالم العربي بكلمة أعرب فيها عن **اعجابه** الكبير بهذا الشاعر الكبير بقوله «السيد احمد الصافي **شاعر** كبير خليق بالاكبار فهو كوكب وقاد قد طلع في سماء **الادب** بازغا فملأ العيون نورا والقلوب سرورا. وإني لمفتخر **بأنني** أول من اكتشف هذا النجم الجديد ودلَّ عليه هواة **الادب** العصري».

أجل ان شاعرا مثل الصافي لينبغي أن يكون **جدير** بالاكبار والتقدير وان هذه الكلمة لشهادة موثوقة يدلي **فيها**

الفيلسوف الزهاوي أمام القراء بقدرة الشاعر على الابتكار وتنزهه عن التقليد والابتذال. ولزيادة الاطلاع والاستمتاع نثبت هنا نص القصيدة كونها وثيقة تؤرخ نبوغ الشاعر المبكر:

أرقتني والحب شأنه الأرق
وما الهوى إلا الدموع والحرق
فبت أشكو لخيالك الجوى
وبات صحبي من شكاتي في قلق
حتى خيالك اغتدى ذا قسوةٍ
فما رقت لي ولا الخيال رق
ينظرني شزرا كما تنظرني
مصوّبا مثلك نبل الحدق
أبثه الشوق فيظهر الجفا
وأظهر الحب فيبدي لي الحنق

***

والجو بحرٌ بالظلام مائج
لؤلؤه النجم وقعره الأفق

كأنما الأرض به سفينة
تمخر والساحل فجرٌ وشفق
تجرها في الجوّ جاذبية
مارثَّ يوما حبلها وما خلق
تجري ولا ترسو ولا ربّانها
يعجزه طول المسير والأرق
ننجو بها الى النهار تارة
وتارة نغرق في بحر الغسق
بنا تدور كمتاع تاجر
يعرض للبيع ولكن ما نفق

***

وما المجرّة التي فية سوى
نهر من النور بقعره انبثق
او دوحة من السديم قد نمت
لها من الشهب غصون وورق
كأنما فيه الثّريا سمكٌ
شع بنور الكهرباء وائتلق
يلتهم الظلام قوتا فاذا
به قد استحال نورا فشرق

كأن ساقط النجوم أرقمٌ
قد ساب في بحر الظلام وانطلق
أو كقذيفة رماها مدفع
أو هو كالسهم من القوس مرق
أو لهب في فحمة الليل سرى
أو هو حبيب للدجى قد انخرق
أو سطر نور خطَّ في لوح الدجى
أو هو ميزاب من الضوء انهرق
أو هو عفريت سما الى السما
ليدخل الخلد فخرَّ واحترق
أو هو قرن الشمس ناطح الدجى
أو هو سيف لحشا الظلماء شق
أو رمح نور طعن الظلام أو
نهر من النهار في الليل اندفق
أو كعمود الفجر لاح قارعا
جبين زنجي الظلام فانفلق
أو عمَدٌ يرفع خيمة الدجى
أو هو ساق العرش في الليل برق

كأنما السها ملاكٌ سابحٌ
يطفو زمانا ثم يعروه الغرق
أو كسراج شفَّ منه زيته
فينطفي آنا وآنا يأتلق
أو إبرة تغور ثم تعتلي
تخيط من ثوب الظلام ما انفتق
أو عاشق تشع منه نفسه
وتختفي وهو باخر الرمق
أو ضوء شمع تعبث الريح به
أو قدح زندٍ هو أو برق خفق

***

والفرقدان صاحبان اتحدا
على الهوى والكل في الحب صدق
قد أخذا الأمان من كف النوى
فما اعتراهما من البين فرق
عاشا بلذتي وصال وهوى
فلا الهوى شفَّ ولا الشمل افترق
أو توأمان ولدتهما السما
قدما وكلٌّ بشقيقه التحق

أو مقلتان تنظران في الدجى
ما لهما إلا من النور حدق
أو درتان زانتا تاج الدجى
أو قطرتان تلمعان من عرق

***

والأفق درع نشرت على الدجى
لها من اللجين والتبر حق
أو كالسحاب الجون طبق الفضا
والنجم يحكي برداً به اعتلق
والليل زنجيّ أتى الى الوغى
وفوق رأسه مرصع الورق
أو بائع الزهر من الزنج بدا
وفوق رأسه من الزهر طبق
أو خيمة في سقفها جواهر
من أحمر قان وأبيض يقق
أو كغراب ناشر أجنحة
رقصا على الفضا لو شاء نعق

وبعـد أيـام من وصـولـه الى بغـداد سافـر الى النجف الأشرف حيث استقبله الأهل والاصحاب بالحفاوة الكريمة والتكـريم المتـواصـل تعبيـرا عن فرحهم بمقـدمه بعد هذه الغيبة الطويلة .

ولم تمض عليـه مدة بعـد وصوله الى النجف إلا وعانقته الامـراض فضيقت عليـه الخناق وأخذت تزداد ضراوة حتى صيـرتـه جسمـا ممـددا لا حراك فيـه ، ولم يجـده دخـولـه المستشفى و مراجعـة الاطبـاء نفعـا وكـاد يكـون في عداد الامـوات لولا جهـود طبيب سوري بذلهـا لتشخيص مرضـه فقـد شفـاه من علة كادت تودي بحياته . وقد نصحه الطبيب نفسـه بأن يسـافر الى سوريا ليستجم بتلك الربوع الزاهية ، وقـد استمـع الصافي لتلك النصيحة وغادر العراق في بداية عام ١٩٣٠ قاصدا سوريا بعد أن سبقته أخباره وأشعاره .

وهنـاك اقيمت حفـلات التكـريم ، والقيت قصـائـد الترحيب تكريما لابن العراق البار وضيف سوريا الحبيبة .

ولم يستقـر به المقام في مكان واحد فحياته طواف مزمن وتنقـل دائم فلا يكـاد يقيم في مدينـة ما مدة حتى ينتقـل الى أخـرى ومنهـا الى ثالثـة ، فقـد شهـدت ربوع سوريا ولبنان

مجـالس الشـاعر وقد وقفت شاخصة لتشير الى أشعاره التي خلدت بها .

فحينما أمَّ دمشق ووجد الحسن يسود مرابعها تخيلها جنة وأيقن أن سكنـاه لا يصلح إلا بهـا ويعجب ممن يأتيهـا ثم يتركهـا ففيهـا الخيـر والحب والجمـال فقـال من قصيدة له بعنوان «دمشق» .

أتيـتُ جلّق مجتـازا على عجـل
فاعـجبتني حتى اختـرتهـا وطنـا
لا يبـرح الحسن يومـا عن مرابعهـا
كأنمـا الحسن من قدم بهـا افتتنـا
لا يرتضي الطرف شغلا عن محاسنها
حتى تعـادي فيهـا المقلة الـوسنـا
أيقنت أني من أهـل الجنـان ففي
دمـشق أسكن جنـات تفيض هنـا
عجبت ممن أتـاهـا كيف يبـرحهـا
فهل يرى في سواها عن دمشق غنى
ما جنـة الـخـلد إلا للذي سكـنـا
بهـا ومـا الـنـار إلا للذي ظعنـا

يكـاد ينسى غريب الـدار موطنه

في ربعها ويعاف الأهل والسكنا

ولكنه يبرحها حيث يقصد لبنان ذات الجو المنعش والشذا المسكر والحسن الباهر والجنة التي أبدعها الخالق وغرس فيها الخير والحب والشعر والجمال.

ولا غرابة في تصرف الشاعر من حيث الحل والترحال فهو عربي أصيل يرى أن بلاد العرب جميعها بلاده وان أي أرض عربية هي أرضه ووطنه فقد قال:

إنـي امـرؤ عربـي والـعـلا نسبي

في أي أرض أرى عربا أرى وطنا

ومما قاله في لبنان مقطوعته الشعرية بعنوان «لبنان والخمرة والحب»:

كيـف الـحـجى يسلم والـلبُّ

لبـنـان والـخـمـرة والـحـبُّ

في جو لبـنـان شذا مسـكـر

فكـل من مرَّ به يصـبـو

لم يخـط أهـلوه وان اخطأوا

فهـم نشـاوى ما لهـم ذنـب

الـحسن بالـحب التـقى فيهم

فالـكـل منـهـم عاشـق صب

الـشـعـر يجـري في أحـاديثهم

فهـم له منـهـله الـعـذب

ياجـنـة أبـدعـهـا ربـهـا

يُنبتُ فيهـا الـحُبَّ لا الـحَبُّ

ملائـك أهـلكِ في خلدهـا

غذاؤهـا الـرحـمـة والـحُـبُّ

ولا يفوته أن يمرّ بقلعة بعلبك ليرنو الى (باخوس) والاعمدة التي سقط بعضها وبقي البعض الاخر يصارع الايام وله في ذلك قوله:

والـعـواميـد خلتهـا في صلاة

رُكَّـعـاً حول معـبـد وقـيـامـا

صرع الـدهـر بعـضـهـن وبعض

واقـفـاتٌ تصـارع الايـامـا

ومنها وقد شده منظر تماثيل الحسان اللائي بهرنه بحسنهن وهن يقفن عاريات لم يتخذن الا من عفة النفوس رداءاً قوله:

وسبتني فيها تماثيلُ غيدٍ
عبدتها أهل الهوى أصناما
سكب الفجر ضوءه في ثناياها
والقى الضحى عليها ابتساما
يشتهي الثغرُ لثمها وهي صخر
ويذوب الفؤاد فيها هياما
همتُ فيها فقلت هزءاً بنفسي
أيُّ صبّ قبلي أحبَّ الرُّخاما
عاريات مثل الملائك لم يسدلن
ستراً ولا وضعن لثاما
تخذت عفة النفوس رداءاً
وسنا الحسن في الجبين وساما

ولم يلبث أن يذهب الى (زحلة) ذات النسيم العليل، زحلة التي امتلأ واديها بالحور وعمها الحسن ونشر الجمال أجنحته على أفقها حتى غلت أسعار الدمامة لندرتها وعدم وجودها وهذا مكان لاشك في انه يوحي بالشعر فقد قال فيها قصيدة بعنوان (زحلة).

أزحلة عمَّ فيك الحسن حتى
لتغلو فيك أسعار الدميم
توزّع فيك قلبي دون حدٍ
لما تحوين من حسن عميم
أرى واديك ممتلئاً بحورٍ
فهل واديك جنات النعيم
وهل بنسيمك المعتل خمر
فاني قد سكرت من النسيم
فيا وادي العرائش أنت واد
يفر لك الفؤاد من الهموم

ومن ثم ترى الشاعر في «بقين» المصيف السوري الجميل شاخصا ببصره نحو البدر الذي يوزع نوره المتلألىء على تلك البقاع حيث يزيدها صفاءا وبهاء، وتارة يرنو بعين الاعجاب الى الحسان اللواتي جئن يتنزهن في تلك الليالي المقمرة في الصيف الممرع يمسن تيها بجمالهن وكأنهن يتبارين مع البدر فتسمع الشاعر يتنغم بهذه الأبيات:
ربَّ بنيات يمسن في الحبر
فواتن يذوب فيهن النظر.

إذا سفرن تحسب البدر سفر
بهنَّ قد راق الأصيل والسحر
وطاب منهن الحديث والسمر
وحرّم النوم وحلّل السهر
يقصدن (بقين) إذا البدر ظهر
ويستترن كلما البدر استتر
يقلن فلنعد فقد غاب القمر. .
أهذه الأقمار تحتاج القمر؟

وهكذا لا يستقر الشاعر في مكان واحد فتراه مقيما في دمشق مدة ومثلها في حماه ثم يبرحها الى لبنان حيث تكون بيروت مقرا له آناً وصيدا آناً اخر ولم تلبث أن تراه في احد فنادق دمشق الكبيرة أو في غرفة في حي من أحيائها الفقيرة وليس له سوى الذكريات التي تبعث في نفسه الحنين الى مسقط رأسه والى الأهل والخلان بعد هذه الرحلة الطويلة

النزعة الإنسانية في شعره

إن النزعة الانسانية هي الشعور الحسّي الكامن في أعماق الفرد فطريا بما للانسان من حق في الحياة كشخص

مطمئن له كرامته وحريته وعزة نفسه حيث لا ينبغي أن يكون هناك ظالم أو مظلوم، ولا تمييز بين أبيض وأسود ولا بين مالك ومملوك. . ويتعدى هذا (الشعور الحسي) بأهمية الانسان ووجوب احترامه وضمان حريته الى التفكير بالحيوانات ككائنات حية تسدي لنا في كثير من الأحيان خدمات جلّى ينبغي للضمير الانساني الاعتراف بها، ويدعو الوفاء أن نقابلها بالعطف وهي التي لا تملك أن تطالب بحق أو تتظلم من جور. .

واذا ما تحدثنا عن الشعور الحسي المنبثق من عاطفة الفرد تجاه من قست عليهم الظروف وأوقعهم سوء الطالع تحت وطأة الظلم. . ظلم الانسان لأخيه الانسان، أو قسوة الحياة لباقي الكائنات، نجد الشاعر قد جبل على ذلك فهو مرهف الحس، فياض العاطفة.

حيث تبلغ به انسانيته درجة يتمنى فيها أن يفنى على أن لا يموت فيه الشعور أو ينعدم الاحساس، ففي قصيدته (أنا والمسلول) خير دليل على مدى انسانيته وعمق الشعور الحسي بمشاركة الآخرين آلامهم محاولا التخفيف عنهم وبعث الامل فيهم بعد غدر الزمان، وإعراض الاصحاب

والخلان. ففي هذه القصيدة يصف انسانا مصابا بداء السل وكيف أن اصحابه ومعارفه تكفهر وجوههم حين يدنو منهم ثم يفرون من أمامه وكأنهم لم يعرفوه من قبل أو يتخذوه خليلا:

جاء مضنى بالسل ينفث سما
في الهوا يترك الصحيح عليلا
تعرض الصحب عنه ان يدنو منها
وتريه وجها عبوسا ملولا
تتجافى الأنام عنه كأن لم
يتخذ في الأنام يوما خليلا

ثم يتوجه هذا المسلول نحو الشاعر بعد أن هرب كالجرذان المسعورة من كانوا يحيطون به حين كان سليما معافى. فما يكون موقف الشاعر تجاهه وهو أي الشاعر مثقل بمجموعة من الأمراض التي صيرته سقيما نحيفا حتى ظنه البعض مسلولا وان لم يصب بداء السل فلابد من أن يبتعد عنه، ففكر بذلك واذا بالشعور الانسان يهتف في أعماقه أن لا تبتعد عنه وليمت الجسم إن لابد من موت على أن تبقى الروح حية وان لا ينعدم الضمير... وان

زالت الروح فذلك خير من بقاء جسم عديم الاحساس ميت الشعور.

جاء نحوي فكدت منه لخوفي
آفة السل أن أفرّ عجولا
فأنا للسقام من غير سلّ
من رآني يخالني مسلولا
خاف جسمي من الدنو اليه
اذ رأى خلفه الممات المهولا
غير أني رأيت منه فراري
يقتل الروح والضمير النبيلا
موت جسمي أحق من موت
روحي ولو اني لم ألق عنه بديلا
كان خيرا من أن أعيش بجسم
دون روح أحكي الجماد خمولا
فلذاك ارتضيته لي جليسا
وخليلا ولم يكن لي خليلا
ثم اني سررت منه لنظمي
فيه شعرا يفيض عطفاً جزيلا

ثم تسمو انسانيته فتبلغ حدا لا يدرك مداه مما تحتويه هذه الكلمة من معان سامية حيث نجد الشاعر وهو يخبر نفسه على سروره لنظمه في ذلك المسلول قصيدة جميلة ظاناً انه استفاد موضوعا من عليل مستغلا ضعفه ونحوله ، ثم يزيد في هذا اللوم ويبين لنا كيف يجب أن تكون الانسانية فيتمنى لو أنه أبدل تلك القصيدة التي هي مجموعة احاسيس بما يعانيه ذلك الشخص الذي لم تربطه به من أية رابطة . . تمنى لو أنه أبدل هذا الشعر بقنينة دواء او كانت سببا في شفاء المسلول :

وقد استأت من سروري بأني
في عليل نظمت شعرا جميلا
ذاك اني استفدت موضوع شعر
مستغلا ذاك العليل النحيلا
ليت اني بدلت عن عذب شعري
بدواء أشفي به المسلولا

ولا شك في أن الايثار ضرب من الانسانية يدل علي تجرد المرء من كل اثرة ومصلحة شخصية ويرسم بوضوح صورة الاحساس الدفين المفعم بالعاطفة الانسانية ونكران

الذات والتضحية في سبيل الآخرين . وهو حقا غاية ما تجود به النفس البشرية . . و يكمن هذا النوع عند من تفهت في نظره مغريات الحياة وسما باحساسه الى مراقي الحب وافاق الاباء .

وشاعرنا واحد ممن يؤثرون الغير على أنفسهم ويفضلون المصلحة العامة على مصلحتهم الخاصة ويرغبون في التضحية حين يكون فيها نفع لسواهم وقد أوضح لنا الشاعر هذا المعنى في كثير من قصائده ولنأخذ مثلا قصيدته المعنونة (يغرق في الصحراء) القصيدة التي يصف في بدايتها كيف انه بعث بديوانه الى العراق عن طريق البر ليبيعه هناك ـ وطبيعي لم يكن قد أرسل نسخة واحدة ـ وانما كمية كبيرة وبقي ينتظر ما سيرده من ربح نتيجة بيع تلك النسخ ولكن قُدّر لتلك النسخ أن تغرق وتتلف بعد أن هطلت عليها الأمطار بوابل من المزن لم يسبق له مثيل في وقت كان الناس يتمنون النزر اليسير لارواء أرضهم القاحلة فيقول :

بعثت بديواني العزيز لموطني
لأجمع من بيعي له التبر والدرا

فجـاء بريــد ثم ثانٍ وثــالــث
وكنت بهــا مازلت انتظـر البشـرى
فجـاء بريـد النحس من بعد مخبرا
بأن يد الأقــدار أغــرقت السفــرا
فقـلت طريـق الـبــر كان طريقــه
وهـل تغـرق الاقدار من سلك البرا
أيـغــرق ديــوان له الـبــرّ مسـلك
فكيف إذن لو كنت أسلكته البحـرا
فقــالــوا أتى سيــل فغطـاه غمـره
وبـيـن رمــال الـبــر شق له قبــرا
فقلت انظروا ياأيها الناس واعجبوا
كتاب لسوء الحظ يغرق في الصحرا
ويظهـر لي ان السمـاء بعدما غدت
على الأرض غضبى لاتسح لهـا القطرا
درت اني أرسلت سفـري فجهزت
له من هوامي سحبهـا عسكرا مجرا

ثم يصف الشـاعـر حالته بعد أن تبددت تلك الآمال التي عقدهـا على بيع ذلك الديوان فتمزقت أشلأوه لتكون سمادا

لتـربـة كانت تشتكي الجـدب والظمأ فاصبح أهلوها فرحين مرحين فيقول :
فأضحت جميـع الكـائنات طروبة
الى مرسـل الامطـار مسـدية شكرا
ولـم تدر أن الـغيث لم يك رحمــة
لهـا بل بلاء لي ، فاسعـدهـا قسـرا
وأمسيت دون الكون وجهي عابس
تصــوّب عيني للسمــا نظـرا شزرا
ولــو أنني أرسلت سفــري مكـررا
لدامت به الصحـراء زاهية خضرا

وهنا يتحرك نبض الوجدان ويثب الشعور الانساني ليبدد سحـابـة الألـم التي ارتسمت على وجـه الشـاعر بعد أن ملأ البشر وجوه الآخرين فيتجرد من كل حب للذات ويتمنى لو أن له كتـابـا اخـر يبعثـه بهـذه الطـريقة على أن يبقى السيل متدفقا ولا يهمه أن يخسر ما دام في ذلك نفع للآخرين فيقول :
فيــاليت لي سفــرا اكــرر طبعــه
إذا ظل منــه السيـل متـدفقـا نهـرا

فتغدو أهالي البر لا تشتكي ظما
ولا تشتكي جدبا ولا تشتكي فقرا
وتصبح لا محتاجة من حكومة
لري ولا تحتاج أن تحفر البئرا

ثم يبرز الشعور الانساني شامخا ليصفع كل اثرة وانانية ويوضح بشكل لا يقبل الريب معنى التضحية فنرى الشاعر وهو يتمنى مرة أخرى أن يتحمل الآلام وحده على أن يعيش الناس سعداء وهذا منتهى الايثار والتضحية فيقول:

ويا ليت وجه الكون ما انفك باسما
إذا كان وجهي عابسا منه مزورّا

وعليك أيها القارىء أن تقارن هذا البيت وبين ما قاله الشاعر الفارس ابو فراس الحارث بن سعيد الحمداني:

معللتي بالوصل والموت دونه
إذا مت ظمآنا فلا نزل القطر

فاذا سلمنا بأن الايثار والتضحية ضرب من ضروب الانسانية وأردنا الاطالة في البحث فسوف نجد الكثير من الادلة في شعر الصافي ما توضح لنا اصالة هذه النزعة التي ولدت بمولده وامتزجت بروحه فجبل عليها بفطرته . .

ففي قصيدته (التضحية) برهان لا يقبل الشك على تفضيل الشاعر غيره على نفسه، القصيدة التي يصف فيها صديقا له قد كان ثريا وذا مروءة ثم باعدت الأقدار بينهما مدة من الزمن حتى اذا التقيا بعدها كان ذلك الصديق في حالة مزرية من البؤس وقد علت الأوساخ رداءه بينما تحسنت حال الشاعر من بعد فاقة وطول عناء فيقول:

وصديق عهدته ذا ثراء
رافع الرأس فوق هام الثريا
كان لا يلبس الرداء إذا لم
يكُ يزهو لونا ويبهج كيّا
كان إما رأى بثوبي شقوقا
راح يبدي سامي الحنو عليا
ثم فارقته فما غاب عن قلبي
وان كان غاب عن ناظريا
ثم شاء الزمان أن نتلاقى
إذ حباني الزمان عيشا رضيا
كان بردي خلاف ما قد تعودت
بهيا من الشقوق خليا

فاذا بالأوساخ تعلو رداه
ولو العرض منه كان نقيا

وهنا تتحرك عاطفة الشاعر فتعصر قلبه لتسيل الدموع من مقلتيه، فيتمنى وهو في غمرة الشعور والتحسس بالام الآخرين أن ينعكس الأمر ويكون بديلا لذلك البائس فيقول:

رحت أبدي له الحنو ودمعي
صار يهمي عليه من مقلتيا
فتمنيت أن لو انعكس الأمر
فيبقى يبدي الحنو عليا

وفي قصيدته «الطفلان السائلان» ما يكون لنا حجة على ما ذهبنا اليه من انسانية الشاعر وتحسسه بآلام الاخرين وتفضيله إياهم على نفسه ففي هذه القصيدة يصف طفلين يتيمين جاءا يسألان الناس إحسانا ثم قصدا الشاعر وكان قد أعد طعامه وقد أمضه الجوع وألهب في حشاه نارا، ولما بدأ يأكل واذا به يغص في الطعام، ويشعر كأن أشواكا توخزه فلم يكن منه إلا أن ترك الطعام لهما وبات طاويا حيث يقول:

طفلان قد ضم الشقا روحيهما
فتآخيا وتقاسما الآلاما
لد مات في نائي القرى أهلوهما
قدما وقد نشئا بها أيتاما
جاءا لجلق حافيين وقد كسا
نعل المتاعب منهما الأقداما
جاءا لجلق يسألان بها الورى
مترجيين من الورى إطعاما
جاءا إلي وقد نعمت بأكلة
والجوع أشعل في حشاي ضراما
فاذا الطعام يغص في حلقي أسى
فكأن شوكا في فمي وعظاما
فنفضت من أكل شغفت به يدي
لهما وقد حضنا الطعام هياما

بعد هذا يشعر بالارتياح لأنه لبى نداء الانسانية بعد أن تمرد على صراخ معدته الخاوية:

أشبعت روحي بالندى السامي وان
لم أشبع الجوف الحريص طعاما

وكما ذكرنا سابقا من أن الشعور الحسي قد يتعدى طور التفكير بأهمية الانسان ووجوب احترامه الى التفكير بالحيوان والعناية به والاشفاق عليه كمخلوق ضعيف يستوجب العطف حين تعرضه لمواقف من شأنها أن تثير الشعور الانساني وتحرك الخوالج النفسية الباعثة على يقظة الضمير، والشاعر يرى في العطف وتقديم المعونة لمثل هذه المخلوقات بهجة للقلب وسكرة للوجدان ولذة خالدة تضمخ الروح بالندى المعطر والشذا الفواح وله في ذلك قوله من قصيدة بعنوان (اللذة الخالدة) وفيها يصف هرة كسرت رجلها ورميت خارج البلدة كما ترمى الفضلات وقد سمعها تئن من ظلم ابن ادم فحرك مواؤها عاطفته فحملها كما يحمل الأب ابنه وأخذ يسعفها حتى برئت حيث قال:

جئت ليلا عائدا من نزهة

والهنا يرقصني في بردتيْ

لم أكد من بلدتي أدنو وقد

لاح لي من بلدتي أول حيْ

واذا جبانة تبدو، واذ

بأنينٍ مستفزٍ أذنيْ

يتعالى في الدجى من هرة

خلتها تبكي فأبكت مقلتي

لمعت وسط الدجى مقلتها

ورنت تعلن بالشكوى إلي

رمت أن أنهضها لكن هوت

وغدت تلثم رجلي ويدي

واذا من حجرٍ قد كسرت

ركبة منها فهدّت ركبتي

فرموها خارج البلدة، من

غير أكل تغتذي منه وري

فلذا أسرعت للدار بها

وهي تعلو مثل طفلي كتفي

ثم أحضرت اليها مسرعا

كل ما كان من الأكل لديْ

برئت في كنفي من دائها

ثم عاشت مثل أخت لابنتي

فاعترتني لذة من عملي

سكر القلب بها في جانبي

إن في الـصـهـبـاء سكـراً وأرى
سكـرة الـوجـدان احلى سكـرتي
إن هذي لذةٌ خالـدةٌ
لم تزل تزداد لي شيئاً فشي

ومثل هذا كثير في شعر الصافي نسبة لأعمال بني جنسه المخجلة لباقي الكائنات بعد استنفاد طاقاتها واستثمار مواردها مما جعله يخجل من نسبته لأناس لاترعى ذمة ولا تفي عهدا ولا تبدي حنانا .

صرت آبى من نسبتي لأناس
فضحونا حتى أمام الكلاب

حب الحرية في شعره

الحرية كلمة تهفو اليها النفوس ، وتطرب لها الاسماع ، وهي انعتاق الافكار من عقالها ، وانطلاق النفوس نحو ما يطمئنها وينشيها ، وهي المنعة والعصمة من كل تحكم غاشم وسيطرة مقيتة ، وهي بعد ذلك حق مشروع لكل كائن بشري شريطة أن يحسن استعمالها والا أصبحت انحلالا خلقيا ومسرحا للفوضى وعدم الاستقرار.

والصافي واحد من المولعين بحب الحرية ويرى أن هذا الحب يجب أن يكون فطريا لامكتسبا حيث أن من يسعى الى شيء لابد من أن يبذل دونه أشياء قد تفقده صفاته المثلى وتجعله لايساوي شيئا إذا ما قيس بالتضحيات فيعود المسعى بعكس الغاية المنتظرة وبذلك قال :

أرى الحرَّ حر الطبع أما الذي سعى
لحرية يوما فما بلغ القصدا
فكم من أرقاء سعوا ليحرروا
وقد بدلوا من قيد رقّهم قيدا
أنا الحرّ حر الطبع لاعن تكلّف
فما أغتدي يوما لحريتي عبدا

والحرية موجودة في الذات البشرية ، وقد يراها البعض في راحة البال والضمير أو الاعتزال عن قرناء السوء أو اللجوء الى ما يسمو بالروح الى مراقي السعادة والهناء . فالمؤمنون بها لا يثقلهم الالتزام ولا تستهويهم الفوضى ، فهم يزنون الامور بتعقل وادراك ويضعون لكل شيء حسابه .

والصافي حرٌّ بطبيعته لاتؤثر فيه الأهواء ولا تجتذبه موضات العصر وتقلباته التي يرى نفسه أسمى منها فهي التي

يجب أن تنقاد اليه لا أن يتبعها هو ملبيا طائعا فقد قال :

عجبتم لماذا لست للعصر تابعا
فقلت لماذا ليس يتبعني العصر
ولست بعبد كي أراني تابعا
لعصري فهو العبد لي وأنا الحر

والشاعر يبرهن في اكثر من مناسبة على انه حر بطبيعته ويرى أن حريته خالدة فهو يوصي أن لا يدفن بعد موته كل يكون رهين الثرى وليكن جثمانه طعاما للنسور ليطوف كل جزء من أجزائه في بلدة حتى اذا التقى الجميع روى منها ما صادف وما رأى وبذلك يكون قد طاف الارض وأحاط بمجاهلها فقد قال من قصيدته بعنوان (الحروف الخالدة) :

أقذفوني في الفلا من بعد موتي
حبذا عيشي و موتي في الفلاة
لا تزجوني بقبر انني
أبغض السجن ولو بعد مماتي
واذا أصبح جسمي مأكلا
لنسور أو سباع ضاريات

سأرى أجزاء جسمي سافرت
سائحات بيَ في كل الجهات
يا لها بعد مماتي رِحلة
فذة متُّ عليها في حياتي
كل جزء سائر في عالم
ناسيا أجزاءه المنفصلات
واذا أجزاء جسمي اجتمعت
بعد أن طافت جميع الكائنات
فسيعطي كل جزء خبرا
لي عما قد رأى من حادثات
هكذا أفنى وأحيا ناقلا
لحياتي من مماتي، مبهمات
إن هذا لهو الحشر الذي
وعد الناس به بعد الممات

وليست الحرية أن يكون الفرد طليقا لا تقيده قيود، ولا تكبله أصفاد، بل يجب أن يكون حرّ الفكر طليق المشاعر يطوف بتفكيره جميع العوالم ويجنح بخياله نحو الحب والجمال والمعرفة.

فرب طليق موثق التفكير ، ورب سجين لا تحول دون تفكيره جدران السجن أو الاغلال وفي هذا المعنى قال شاعرنا من قصيدة بعنوان (سجين وطليق) .

قلّل السقم من مسافة سيري
وأتى السجن لي فصارت أقلاّ
غير أني وان سُجنت ففكري
سائح في الوجود والنفس جذلى
واذا شئت سحت في النفس دهرا
طائفا ثمّ عالما مستقلاّ
إن يفتني كون فلي من خيالي
ألف كون يسمو على الكون فضلا
لا تضيق السجون بالفكر رحبا
والفضا ضيق بمن ضاق عقلا
إن كل الأغلال في يد حرٍّ
لا تساوي في موثق الفكر غلا
فكري الحرّ اودع السجن جسمي
واعتزازي قد كلّف النفس ذلاّ

والانسان الحر هو الذي يبغي الحرية للجميع ولا يقصرها على نفسه بل يضحي في سبيل تحقيقها . وهي إن

شملت، غيره وسادت مجتمعه ، لا يضيره بعد ذلك إن كان هو الضحية وقد ظهر ذلك في قول الصافي :

سجنوني دونما ذنب سوى
انني سامي المنى حرٌّ عزيز
لا يضير السجن مثلي إن يكن
موطني يصبح في حرز حريز
ولئن أشنق تكن مشنقتي
منبرا يعلن رجم الانجليز

ولعل تطواف الشاعر في كل ناحية وتنقله من بلدة الى اخرى ومن مصيف الى اخر ضرب من ضروب الحرية ، ونوع من انواع استقلال الذات وانعتاق التفكير فهو لا يستقر بمكان وقد اوضحنا ذلك سابقا فهو يتعب محبيه ويرهق زواره . لعدم لحاقهم به وادراكهم إياه فما أشبهه بالنسيم في حريته وانطلاقه وقد قال في ذلك :

يروم زيارتي عشاق شعري
فلا يجدون لي في الأرض دارا
تراني كالنسيم أطوف حرا
فلست ولا النسيم نرى قرارا

فزوروني بأنفـاس الخـزامـى
وزوروني بآهـات العـذاري
وقـد آوي لقـلب أخ غرام
وأصعـد منـه أنـات حيـارى

هذه بعض المقاطع اثبتناها لندل بها على حب الحرية في شعر الصافي ولو اردنا المزيد لذكرنا ما يضيق به المجال مما هو موجود في دواوين الشاعر فليرجع لها من أراد الزياده في الاطلاع

حنينه الى الوطن

الحنين هو شعور فطري، ودافع غريزي الى التفكير بتربة الوطن، ينتاب المغتربين فيهصر قلوبهم، ويستدر دموعها ويبعث في نفوسهم الذكريات. . الى مسقط الرأس حيث ملاعب الصبا ومجالس الأهل والخلان. . ويزداد هذا الحنين كلما ازدادت مدة التغرب عن الوطن خصوصا إذا كان المغترب مرهف الحس، سامي الشعور. . فما بالك وشاعرنا قضى ستا واربعين سنة بعيدا عن مسقط رأسه، فهو يبث حنينه الى وطنه بين آونة وآونة وفي كل مناسبة، وليس

أدل على ذلك من قوله حينما سأله أحد أصدقائه قائلا:
- «. . فلماذا حكمت على نفسك بالنفي فتركت وطنك، وأصررت على الفراق حتى يتحول الى جفاء» فكان الشاعر:
-«لا . . انني برغم السبع والعشرين سنة التي فارقت بها وطني لم أقطع صلتي به ساعة واحدة، وأنت تعلم انني مسلم مؤمن أصلي وأصوم يوم كنت استطيع اداء الواجبات، ولو كانت صحتي تساعدني على الصلاة بعد أن هداني الله للايمان. . أقول لو كانت صحتي تساعدني على الصلاة لكانت صلاتي هذه المدة (٢٧) سنة قصرا. . لأنني لم أنو الاقامة. . ويكفي أن تعرف شعوري نحو العراق من قولي:

لقـد تغـربـت حتـى
نسيـت كلّ قريـب
فان رجـعـت لأهـلي
رجـعـت مثـل الغـريـب
سلكـت كل الـدروب
ألـفـت كلَّ الـكـروب
فغـربـة الـدار داري
والأهـل صحـب الـدروب

ثم يقول في موضع آخر:

جرح التغرب في فؤادي بالغ

ألقي عليه ببلسم النسيان

فتفجر النسيان عنه واصبحت

للجرح تهمل بالدما عينان

وقد قال الشاعر لمراسل جريدة الزمان البغدادية في بيروت:

لي أشعار كثيرة تحتوي على حنيني للعراق اكتفي منها بالقطعة الاتية:

توالت عليَ النائبات مغيرة

فلم أر غير الهم يصدم بالهم

وكم من جروح في فؤادي تغلغلت

أروم البكا منها فاخجل من عزمي

وأعمق جرح فيه جرح تغرّب

يحنّ لداري دائبا وبني أمي

فياليتني حينا نسيت تجلّدي

ليطفىء دمعي مرة لهب الغم

فكم زفرة أخفيتها عن عزيمتي

فباتت جحيما تحرق العظم كالفحم

وكم وجمة بالعاصفات تبطنت

وكم بسمة فيها دموع الحشا تهمي

نسجت من العزم القوي حشاشتي

وجددتها إذ أخلقتها يد السقم

وحين يهتاجه الحنين فيثير فيه الذكريات . . وليس للغريب سوى الذكريات وتنحدر قريحته كالسيل مصورة أيام الطفولة، وأطياف الوصال، ومجالس الاصدقاء، ونوادي الادباء. ويا لها من ذكريات تثير في النفس الشجن وتضرم في القلب اللواعج فقد قال:

بقلبي قد أطلت ذكريات

تفتش فيه عن ماضي شبابي

بقايا من حبيب أو محبّ

وأشباح لأيام التصابي

وطيف تواصل وخيال هجر

ورسم تدلل ورؤى عتاب

كشمس قد توارت في مغيب

وبرق قد تلاشى في ضباب

وخيط من بقايا الركب يبدو

ويخفى بين منعطف الشعاب

واخـر سكـرة وخـتـام حلم

ونـجـم آفـل ومـنـى كذاب

من رسالة بعث بها الشاعر الينا ضمنها مقطوعة، الشعر الوجداني صور بها غربته ووحدته وحنينه الى الوطن ولنأخذ منها هذين البيتين:

روحـي بارض الـعـراق عالـقـة

والـعقـل سام عن أمـدن المـدن

أحـار بين التـفـتيش عن وطـن

يفـهـمـني أو محبـة الـوطـن

وفي صيدا حيث التقى عملاق الغناء في العراق الاستاذ محمد القبانجي بعملاق الشعر الاستاذ احمد الصافي وكذا النسيم يداعب سعف النخيل الذي ظلل الاستاذين فطابت نفس الأستاذ القبانجي فغنى . وقد وصفت صحيفة (كل شيء) هذا اللقاء في العدد ١٤ السنة الاولى ايلول ١٩٦٤ فقالت: «غنى القبانجي مقاما عراقيا من أنغام البيات ومن نظمه . غنى مقاما تتفق كلماته مع هذا اللقاء الكبير . غنى فتأودت نخيلات صيدا . وترنحت ارزات لبنان وبكى الصافي بكى بكاء مرا . وبكى من كان حاضرا».

وبعد أن كفكف الصافي دموعه وأطال النظر الى تلك النخيلات التي ذكرته باشجار الصفصاف والنخيل الممتدة على ساحل نهر الفرات في الكوفة هاجت أشجانه وتراءت له صور الماضي حيث البراءة واللهو . حيث الأصحاب والأتراب وطلع النخل . وصغار الاسماك والطفولة . والشاطىء . وأبناء العمومة . وكل من هناك في أرض الوطن . فلم يكن منه إلا أن نظم قصيدة تصور هذا الحنين وبعث بها بيد القبانجي لتنشرها جريدة كل شيء ولنعيد نشرها هنا:

يا نخل صيداء لي هيجت أشجانا

ذكـرت من وطني أهـلا وجيرانـا

مالاح طلعـك لي إلا وذكـرنـي

ربيـع ريفي بطلع النخـل مزدانـا

هل الـربيـع معيـد عند رجعته

ربيع عمري وعمر الصحب ريانا

كم ذكـرتني بساتين النخيل هنا

من نخـل ريفي جنـات وبستـانـا

وكـم دعـتـني وأغـرتني لأدخلهـا

حتى الاقي بهـا أهـلا وخـلانـا

يا نخـل صيـداء قد أشعلت نيـرانـا
بقـلب ناء بعيـد الـدار ولهـانا
ذكـرتني نخـل ريف قد نشأت به
هل ذلـك النخـل باقٍ مثلمـا كانا
كم رقـدة لي بظـل النخـل ناعمـة
من نصف قرن تراها مقلتي الآنا
تلك النسيمـات في خدي تداعبني
وتعـزف الـريح بالأغصـان ألحانا
يظـل فيهـا خيـالي سارحـا مرحـا
فأغمض العين بالألحـان نشـوانا
هذا شعوري دون العشر من عمري
هذا هو الشعـر . لا ما أنظم الآنا
ولسـت أنـهض إلا حيـن يلذعـني
حرُّ الظهيـرة لم أعـدوه سرعـانا
ومنهـا وهـو يتمنى العـودة وكأنـه لشـدة اللهفة لايفعل ذلـك . على انـه مهمـا يكن فسـوف تبقى ذكريات بلده ، ووطنه عائشة في قلبه ما عاش حيث يقول :
تلك المـلاعب هل يومـا أعـود لها
أرى بهـا من لداة العمـر أخـوانـا

نصطـاد أطفـال أسمـاك تشـابهنـا
معكـرين بذاك الصيـد غدرانـا
نشـكـهـن بأعـواد لنشـويَـهـا
مؤججين من الأغصـان نيـرانـا
«ملهـوجين» لهـا عجلى لنأكلها
مخلوطـة برمـاد الارض أحيـانـا
أخشى إذا عدتُ لا ألقى لهم أثـرا
إذ أصبحـوا تحت هذي الارض سكانا
وان يكـن أحـد باق سينكـرنـي
فالـدهـر غيّـر أشكـالا . . وألـوانـا
فلتبق ذكـراهمـو في القلب عائشـة
تبـدي لديّ شيـوخ الصحب ولدانا
فمـا الـحيـاة سوى وهم نعيش به
يحكي الحقيقـة تزويـرا وبهتـانـا

وليست هذه المرة الاولى التي يتمنى فيها العودة ويعاوده الحنين وتهتـاجـه الـذكـريـات فقد تساءل قبل ذلك هل من رجوع؟ هل من عودة؟ خبريني يا ذكريات . . ثم كتب فقال :

ألا يا ذكــريــات صبــايَ هل من
رجــوع لي الــى تلك الــحــيــاة
تذكــرت الـصـبــا فجلست أرنــو
لتلك الــذكــريــات محطّمــات
ورحـــت أروم أن أبــنــي قصــورا
بألــوان الــتــهــانــي عامــرات
إذا بســواعــدي وهــنــت وكـلّت
وقــد زال الــهــنــاء سوى رفــات
فعــدت الى قصــور الـذكـريـات
وإن هي أصـبـحـت متهــدمــات
وقــد أصبحت مالي اليــوم شغــل
سوى ترميم تلك الــذكــريــات

الـذكـريات . . كل ما تبقى لديه في الحياة . . فقد ذهب الشبـاب ، وتـلاشى الأصحـاب . وقـد بعدت الديار ، وشط المـزار ، ولـم تبق سوى الـذكـريات . . الشيء الوحيد الذي لم تطله يد الاقـدار ، ولم يمحـه نأي الديار ، بل يزداد عمقا كلمـا طال الـزمن ، ويكتمـل رسوخا كلما تعرت الحياة عن حقيقـة لاذعـة ، وهـو عزاء الـذين أسقط بيدهم وغلب على أمــرهم بعــد طول عنــاء وكثيــر مشقــة . . هذا الشيء هو

الـذكـريـات . . وبهـذه الـذكريات يكتب لنا الصافي شعرا يصوّر به فلسفة الحياة باسلوب رقيق يحرك نبض الوجدان فيقول :

لعمــرك ما الشبــاب سوى شراب
وليس الــذكــريــات سوى خوابي
نعــتّــقــه فنــســكــر من شذاه
ونــبـلـغ منــه عربــدة الـتـصــابي
فجــرعــة ذكــريــات من شبــابي
تســاوي ألــف دنٍ من شراب
يمـينــا لو بلغتُ الـحــان يومــا
أطـلـت الـكــرع من دنّ الشبــاب

هذا حنين الصافي الى الوطن وهذه ذكرياته . . ذكريات الشبـاب ومجـالس الاحبـاب والارض التي درجت عليهـا قدمـاه ، والفـرات الـذي بسائغ مائه قد رواه . . هذا الحنين الـذي لم يبـرحـه وهـذه الـذكـريات التي تلازمه لبلد أنشأه ومجتمع ربّاه حتى أواخر أيامه .

بعض ما قيل فيه

على الـرغم من قلة المصـادر فقـد استطعنـا أن نقتطف بعض ما قيل من كلمات في حق الشاعر وعن عبقريته ونبوغه وشـاعـريتـه الفذة مستقين ذلك من بعض الصحف والكتب والمجـلات والـدواوين التي وقعت بين أيـدينـا . فقـد كتب الاديب الشاعر الياس ابو شبكة في مجلة الجمهور كلمة عن ديوان (أشعة ملونة) وقد وضعت مقدمة للطبعة الثانية للديوان نقتطف منها ما يلي :

«أحـمـد الـصـافي النجفي . . هذا الاسم . . سيعيش طويلا ، ويخيل إلي أني أرى خيال الاسطورة على أحرفه .

ما أبعد أحمد الصافي عن الفن وما أقربه الى الطبيعة . . ما أبعـده عن الفن الميت ، عمـا يعلق بعيني المـرء ومخيلته من الصور المصبوغة والافكار المحنطة . وما أقربه الى الفن الحي ، الى ما في الطبيعة من الصور الحية والالوان النابضة والشعور اللطيف» . كما قال :

«مـا عرفت قبـل الآن شاعـرا فقيرا استطاع أن يقنعني بأن فقرا يشع في مثل هذه الهالة انما هو اذلال وتحقير لكل متكبر في الناس .

لقـد أخـذ الصافي ليلة لم تكن له ، وبودي أن أعطيه من تلقائي ليالي وأشكره . ففي مجموعته «أشعة ملونة» طعام من القلب والفكر ، هممت في احدى الليالي بأن أنال قسطا منه فما استطعت إلا أن التهمه كله . . » .

« . . ويكفيني للتدليل على أن النهضة الشعرية هي أصح ما في الأدب العـربي اليـوم أن أذكر طائفة من الشعراء شقت للشعــر طريقـا لا عهـد له بمثلهـا وفي طليعـة هؤلاء أحمـد الصافي النجفي» .

كمـا كتب الشـاعـر الكبير ايليا ابو ماضي كلمة عن ديوان (الامواج) في مجلة السمير نقتطف منها ما يأتي :

« . . الصـافي شاعـر تجـردت نفسه من المطامع وسمت عن محيطهــا ، فهي لا تبـالي ما اصطلح عليـه النـاس من عادات وتقاليد بل هي تطل عليهم وتأخذ في توبيخهم لأنهم لا يتجردون تجردها ولا يتمردون تمردها ، طالعنا الديوان فاذا نحن امـام شاعـر مستقـل ، طريقة التفكير ، وفيه أمثلة كثيرة على نزعـات الشـاعـر ، وهي نزعات عالية ، على لطافة ورقة شعــوره وغنى روحــه ، وعلى الجملة فاننـا حين نقـدم لك صاحب الأمـواج نقـدم لك شاعـرا حسـاسا نبيل الروح ، لو

أردنا أن ننقل اليك كل جميل في الديوان لاضطررنا الى نقله كلّه . . » .

ويحدثنا الاستاذ زهير مارديني في مجلة الدنيا الجديدة عن أول رأي قرأه عن الشاعر فيقول :

«قرأت صدفة وأنا طالب مقالا كتبه الاستاذ رئيف الخوري عن الشاعر قال فيه : يقول الشاعر في قصيدته النبوغ :

قد نبغتم بأن عرفتم صفاتي
ونبغتم بأن وصلتم أليّا

ونحن لا نعلم هل قال الشاعر هذا القول جادا أم هازلا ، ولكن مهما كان قصده فقد قال الحقيقة ، فالأمة العربية تنبغ عندما تعرف الصافي ، لقد تقمصت في الشاعر أرواح شعراء كثيرين ففيه روح المتنبي وفيه روح المعري ، وفيه روح ابن الرومي ، وفيه روح أبي نواس ، وفيه روح أبي العتاهية وفيه روح أبي الشمقمق» .

ثم يعود الاستاذ زهير فيقول في المصدر نفسه عن الشاعر ما نصّه :

«لقد عرف الادب نفوسا كبيرة ، ولكنه لم يعرف نفسا كنفس الشاعر نأت بها نبالتها أن تذل وتخشع أمام الاطماع والرغبات ، وأبت عليها عزتها أن تتمرغ في أوحال الضعة أو

ترتكس في دنس الذلة والهوان ، لقد عرف الادب العربي الشاعر أبا العلاء المعري ذلك الفيلسوف الفقير الذي عاش مع نفسه في فاقته حياته كلها ، في حين أن قصور الملوك والامراء كانت تشتهي خفق نعاله في أبهائها . .

وها هو الشاعر يدبّ على الارض بنصف حذاء وثلاثة أرباع قنباز وبقايا عباءة فيقيم بين الهوان وبين رغباته سياجا من العزة التي جرت في دمه حتى صار وجوده جزءا منها ،

وأصبح شعره لسانها الذي لا يلوك سؤالا ولا يطيق أن ينطق بالبيت الضارع أو الشعر الذليل وهو القائل :

أغليت نفسي لكوني
على النفيس حريصا
أعطيت شيئا ثمينا
فهل أبيع رخيصا»

وقد كتب الشاعر المرحوم بدر شاكر السياب مقالا عن ديوان اللفحات للشاعر الصافي في مجلة أهل النفط جاء فيه :

« . . وبعد فالصافي عالم قائم بذاته متسع الأفق بشكل لا مثيل له عند أي شاعر عربي بمفرده لم يترك موضوعا إلا وطرقه ولا عاطفة من عواطف النفس إلا وصورها فهو شاعر

فلسفة وحكمة وهجاء وسخرية وهزل ووصف طبيعة وهو شاعر ذاتي الى أبعد حدود الذاتية و موضوعي الى أبعد حدود الموضوعية انه ظاهرة ضخمة في الشعر».

وقد كتب الشاعر محمد جمال عن الصافي قوله:
«شاعر عرج به الخيال الى سماء الوحي والالهام، ونابغة تفرد في اسلوبه الرائع البديع وبيانه السهل الممتنع؟ يمتاز الصافي في وصفه للاشياء المحسوسة ونظمه في المواضيع المبتكرة وخوضه في كل حلبة أدبية».

وعندما أقيمت حفلات التكريم للاستاذ الصافي في دمشق أعد الاستاذ الكاتب يوسف رجيب كلمة لتلقى في حفل تكريم الشاعر وقد استعرض فيها مواقف الصافي الوطنية نشرها في مجلة الاعتدال عام ١٩٣٥م نقتطف منها ما يلي:
«.. ولكنكم أبيتم إلا أن تستأثروا به فتبقوه بين رعايتكم وعنايتكم وهل أدل على ذلك بل و أجمل من محفلكم الحاشد اليوم وأنتم تكرمون شاعرا وتعددون مزايا رجل لم يغره الدرهم والدينار ولم يركض وراء الغايات الدنيئة ولم يمدح للشهرة أو للغنى، انما هو كالمصور الفنان الماهر يعرض للملأ في شعره أوجاع الناس وآلام الطبقة الفقيرة.

حقا لقد أحسنتم في تكريمكم هذا الرجل المتألم للانسانية المعذبة الشقية التي تدأب على العمل المنهك ولكن ليستمتع غيرها، ومن لا يفضلها بالأخلاق والشيم والمكارم، هذه السجايا الكريمة المحسنة هي التي تحملنا أن نقدس الصفة الوطنية في الاستاذ الصافي قبل الموهبة الشاعرية، ولعلنا محقون في ذلك فالانسانية المعذبة تحتاج الى قيثارة انسان يسكن من آلام جروحها وتحتاج كذلك الى مطرقة تدق بها على صدور الظلمة والمستغلين ليرتدعوا ولو قليلا».

نهاية الرحلة

في عام ١٩٧٦ وفي أثناء أحداث لبنان أصيب أحمد الصافي برصاصات غادرة نقل على اثرها الى المستشفى ومنه نقل الى العراق على متن طائرة يوم ١٩ شباط ١٩٧٦ ليعالج في جناح خاص في مدينة الطب اكراما له وتقديرا لمواقفه الوطنية ومنزلته الشعرية، وفي المستشفى كان لنا معه لقاء وحديث عن الغربة والعودة وعن رأيه وهو يشهد بغداد بعد هذه الرحلة الطويلة فاجاب:

ـ لم أكن أحلم بهذه العودة على الرغم من انني عندما تركت العراق كنت عازما على أن أعود بعد ستة أشهر أو سبعة أشهر أو ربما بعد سنة الى العراق من هذه السفرة التي اعتبرها «استجمامية» على أن أعود مكتمل الصحة ولكن بقيت هذه المدة أي ستة واربعين عاما ولم أشعر بصحة تامة تطمئنني على العودة الى العراق. . ولكن أخيرا رأيت رغبة العراق الملحة وصدق العواطف وكذلك رغبة أخواني، ورغبتي أيضا تجمعت كلها حتى دفعتني على هذه العودة. . وجاء لي هذا البيت الكاوي صباح اليوم الذي في ليله سأعود بالطائرة، وقلت كيف أعود وأنا بهذا الضعف من البصر واني لا أرى شيئا:

يا عودة للدار ما أقساها
أسمع بغداد ولا أراها؟

فسمع البيت أحد الأدباء وقال: «هذا البيت يؤلف عنه كتاب» فقلت لا غرابة في ذلك فالمعري يقول:

واني رأيت الناس كالشعر واحد
بألف إذا قيسوا وبيت بديوان

وقد تماثل الشاعر للشفاء إلا أنه لم يمكث كثيرا وكأن القدر كان له بالمرصاد فقد توقف قلبه يوم ٧ حزيران عام ١٩٧٧

الا ان اسمه سيبقى خالدا خلود شعره الذي خلفه في اثني عشر ديوانا مطبوعاً.

مختارات من شعره

نورد هنا بعضا من قصائد الشاعر الصافي لمن يرغب في مطالعة شعره ولم يتسن له ذلك، ولمن يود الاحتفاظ بهذه القصائد مستلة من جميع دواوينه وهي ليست أجود ما نظم الشاعر وانما اخترناها لما فيها من وقع في النفوس ولأنها تمثل نفسية الشاعر واتجاهاته في الحياة ولما فيها من صدق في التعبير وروعة في التصوير.

لئن أضعفت جسمي الخطوب وحملها
فما أضعفت نفسي ولا أوهنت عزمي
كأني خيال حين أمشي من الضنى
وليث عرين حين أسطو على خصمي
حياتي بنفسي لا بجسمي منوطة
وقوتي قوة الروح والقلب لا الجسم

عجبت لنفس لم تطر من أضالع
حكت قفصا خاوي الضلوع من السقم
وكم ليلة قضيتها طاوي الحشا
فلم أبد من سأم ولم أشك من هم
فأخطر مختالا بعزّي مفاخرا
وان كنت بالي الثوب منخرق الكم
كأني مليك بالفخار متوّج
وليس له جند سوى البأس والحلم
تراه ونور الحق شارة ملكه
وقانونه نشر المحبة والسلم
وأي مليك عاش حرا كعيشتي
وهل مجد أرباب العروش سوى وهم
فلا تبن إلا مثل مجدي وسؤددي
فكل بناء غير ذاك، الى هدم
واني إذا ما رام ضيمي معتد
عمدت لحد السيف لا القذف والشتم
وهل تدفع الالفاظ ضيما وكلها
هواء ولكن يدفع الظلم بالظلم

واعجب من شعب يبيت على الأذى
ومن رجل في الناس يرمى ولا يرمي
يفل جيوش الهم سيف عزيمتي
ويكشف ظلماء الخطوب سنا حزمي
ولست لأرقى فيلسوف مقلدا
ولا بامام غير عقلي بمؤتمّ
تلذ لدى نفسي مخالفة الورى
ويطربني صوت الملامة والذم
انكبّ عن عاداتهم ورسومهم
ولا أبتغي للنفس رسما سوى رسمي
ولو طلبوا رغمي وقد كنت صاديا
على الماء لم أشربه بُعداً عن الرغم
أروم اتباع الفيلسوف بفكرتي
وأرغب في عيشي البساطة للبهم
فلست لتحضير الطعام مفكرا
ولا لطعام قبل جوع بمهتم
فان جعت لم أطلب سوى ما يقوتني
من العشب أضحى أو من الخبز واللحم

عجبت لمهتم بأمر طعامه

وما اهتم بامر الطعام سوى النهم

***

أقضي حياتي مستلذا بعزلة

أمتع فيها النفس بالأدب الجمّ

فلست لشخص بالكلام مقيدا

ولا لكلام شذّ مني بمغتم

فيجري خيالي كيف شاء منظما

وفي الناس يجري دون قصد ولا نظم

أنال به ما شئت من أجمل المنى

فمن روضة تزهو ومن مسكن فخم

ترانيَ في جوّ الخيال محلقا

أرفرف جذلانا باجنحة الحلم

***

وكم عن طريق الذل أمكنني الغنى

فعفت الغنى والذل للعز والعدم

ولست بمكسال عن السعي للغنى

ولكنني أرمي فيخطي المنى سهمي

تركت بلادي والحشا عالق بها

وفارقت أحبابي بها وبني أمي

لعلي يوما أن أفوز بثروة

أنال بها سؤلي وأجلو بها غمي

فلو خلتها في الأرض غصت لقعرها

وإن تكُ في نجم صعدت الى النجم

فكم جبتُ سهلا وارتقيت رواسيا

وكم جزت من قفر وكم خضت من يمِّ

فلم أحظ في شيء على القوت زائد

وفاز بأقصى ما يريد أخو اللؤم

فهل كتب الله الثراء لمعشر

وخط لي الحرمان في دفتر الشؤم

وهيهات فالله المهيمن عادل

ولم آت من ذنب ولم أجن من جرم

فطوراً أخال الحظ علة خيبتي

وطورا أرى الحرمان من قلة الفهم

وليس بهذا أو بذاك وانما

أرى السر في نقص القوانين والحكم

أسير وظل البؤس يمشي بجانبي
كأني حليف للشقاء وذو رحم
تعلق بي حباً فهذا خياله
يلوح على شكلي ويبدو على رسمي
ولم تنقطع آمال مثلي لخيبة
فاسعى وان أصبحت جلدا على عظم
أعيش بسعيي في بلادي ومهجري
ولم أحتمل منّا لعرب ولا عجم
عجبت لقوم شحذهم باسم دينهم
وكيف يسوغ الشحذ للرجل الشهم
إن كان تحصيل العلوم مسوغا
لذاك فان الجهل خير من العلم
أما لكم في زرع أرضكم غنى
عن الشحذ أوفي الكسب منأى عن الذم
أسيلوا لسقي الأرض ماء جبينكم
إذا نهركم لم يجرِ والودق لم يهم

بين الفرس والعرب

قال الفردوسي في الشاهنامة على لسان كسرى حين ورد عليه الوفد العربي يدعوه للاسلام هاجيا العرب بيتين معناهما: «بلغ الأمر بالعرب بعد شرب حليب النوق واكل الضباب أن صاروا يتمنون تاج كسرى، تف عليك أيها الفلك الدوار تف!» ولما رأيت الفرس يرددون هذين البيتين كثيرا في أنديتهم لا سيما إذا حضر العربي بينهم اضطررت للجواب عنهما بهذه الأبيات والبادي بالشر أظلم...

وشاعر قوم بالمآكل اولعوا
بشرب حليب النوق عيّرنا قدما
ولم يدر أن العار أولى بمعشر
أضاعوا الحجى والرشد والعزم والحزما
مفاخرهم حسن الطعام ونوعه
فلست ترى إلا البطون لهم همّا
فراح يذم الدهر في سلب تاجهم
ولا يستحق التاج من فقد العزما
ففاز به شعب أبيٌّ مهذب
يرى فخره العلياء لا الأكل والهضما

فذمَّ لفقد التاج قومك واهجهم
ولا توسع الأفلاك شتما ولا ذما
نظرت بعين الحقد قوما فعبتهم
باكلهم إذ لم تجد فيهم وصما
أجل نحن قوم نحسن الطعن في الوغى
وأنتم فريق يحسن القضم والخضما
ومن عاد لا يهتم إلا ببطنه
فقد قلّد الانعام واتبع البهما
وهل تورث العلياء يوما مآكل
أجاد بها الطاهي وروّقها طعما
فهل أنت في فالوذج تحكم الورى
وهل أنت في لوزينج للعدا سهما
منحناكم حرية بسيوفنا
وكنتم أرقاء لمن ملك الحكما
دككنا عروش المستبدين فيكم
فلم ترتضوا والعبد يستعذب الظلما
عرضنا لكم ديناً به الناس تستوي
وما خصّ بالتفضيل عربا ولا عجما

يرى ان أسمى الناس أعظمهم تقى
أللصين يعزى أم الى حبش ينمى
فانكرتم دين المساواة خسة
ولما انتضينا السيف امنتم رغما
صممتم فاسمعناكم الحق بالظبا
وللسيف قرعٌ في الوغى يسمع الصّما
فلم يستطع أن يغسل الدين عنكم
طباع جدود تعبد النار والفحما

بائعة الزهر

جاء ظبي يبيع زهرا جنيا
زاد حسنا بروعة التنضيد
قال هلّا اشتريت مني زهرا
ضمَّ أبهى شقائق وورود
قلت أبغي شراء أجمل زهر
وسأسخو له بكل نقودي
قال فاشتر الشقائق تحكي
اكؤس الخمر او شفاه الغيد

قلت لا ، قال فاشرِ ان كنت تشري
زنبقا يزدهي ببيض البرود

قلت لا ، قال لي اذن فاشر فلاّ
قد حبوه لون الصباح الجديد

قلت لا ، قال فاشر النرجس الحاوي
لتبر في فضة كالجليد

قلت لا ، قال فاشر آسا فلم أقبل
فأغضى طرفاً ومال بجيد

قال دعني لم يبق عندي زهر
قلت: باقٍ لديك زهر الخدود

قال زهر الخدود كم ذا يساوي
لست أدري، فقلت: كل وجودي

قال: ما تستفيد من زهر خدّ
نلته في وجودك المفقود

قلت: في البيع أستفيد هياما
هو عندي يفوق كلَّ مفيد

أن أسمى اللذات ما تنتهي بي
لفناء ما فوقه من مزيد

لذة السكر تبلغ الأوج لما
فيه يغدو الرشيد غير رشيد

إن أقصى حدود سيرتي اني
اتخطى في السير كل الحدود

الكتمان

أكتم آلامي على كثرها
وأعلن البشر لقرّائي

اخاف أن يسري حزني لهم
فان قرّائي أبنائي

يضحك آباء لأولادهم
وهمّهم في قلب اباء

إن الأسى داء تعوّدته
أشفق أن يعدي الورى دائي

اصدق في قولي وفعلي معا
لكن ببشري أخدع الرائي

وإن تأوهت برغمي فذي
شرارة من نار أحشائي

ونورها عذري عن نارها
فغضّ عن ناري لأضوائي

الله

بلغت ما يصبو اليه الورى
وغير ذا ما أتمناه
أرضيت بالشعر البرايا وما
أرضاه إن لم يرضه الله
الله استاذي وكل الذي
خط يراعي فهو أملاه
لا مبدع إلاه لا ناقد
سواه ما يأباه آباه
أخجل من عرض فنوني له
وان تكن بعض عطاياه
أبدلت بالفن خشوعي فان
يقبل فذا ما أتوخاه
شوهت فن الله إذ رمت أن
أزيد بالفن مزاياه

الله نور الارض نور السما
ما أنا.. ما العالم لولاه
أعمى الورى من لا يرى نوره
ألم يشاهد؟ أين عيناه؟
أعمته عيناه وأغفى على
عمى فلم تصدقه رؤياه
تاه من النور وكم معشر
إن تزد النور لهم تاهوا
كم تكذب العين بما تدعي
فاوضح العالم أخفاه
أراه في الكون بعين الحجى
لا أشرك العين بمراه
اذا ادعى عقلك انكاره
فانكر العقل ودعواه
عجبت من ساع الى غيره
والكل لفظ هو معناه
تأله البعض شعورا به
فصاح في جبتي الله

ولو رآه لهوى مثلما
موسى هوى من (طور سيناه)
أعرف بالله امرؤ شاعر
يدرك في الكون خفاياه
آمنت بعد الكفر مستغفرا
عن جهل عقلي وخطاياه
يأخذ مصنوع على صانع
ما أحقر العقل وأغباه
وعدت للخالق ادعوه أن
يزيد نوري يوم ألقاه
تمردت نفسي على كل ما
قد خلق الله وسوّاه
حتى بدت للعين أنواره
فلم تشوشها مراياه
كهولتي بالله قد آمنت
ضل شبابي ودعاواه
فان تجد ذا شيبة جاحدا
فقل الى الموت أحلناه

ما نحن إلا فكرة لم تزل
ترقى الى ما قدّر الله

النور والظلمة

خسىء الدهر كم تصدّى لحربي
ثم ولى وفيه مني جراحْ
يبتغي الدهر أن أخيب، ولكن
خيبتي، رغم أنف دهري، نجاح
خيبة الشاعرين سرُّ عُلاهم
وخمولي لشهرتي مفتاح
كم أديب دلَّ الخمول عليه
وشهير لم يجد فيه الصياح
حارب الدهر أهل فضل فداموا
ثم والى أرباب نقص فراحوا
عشت حتى الزمان يحسد فضلي
فلفضلي مع الزمان، كفاح
أظلم الدهر فوق رأسي لأخفى
كيف يخفى وسط الدجى المصباح

كلمـا زاد ظلمـة زدت نوراً
فلنـوري بقـلب دهـري رمـاح
دلَّ هذا الـدجـى عليَّ لأبـدو
فكـلانـا لخـصـمـه فضّـاح
نمَّ بي مثـلمـا نمـمـتُ عليـه
ما عليـه ومـا عليَّ جُنـاح
شعَّ نوري إذ شعَّ دهـري ظلامـا
كلنـا بالـذي به نضّـاح
أيهـا الليـل يمحق النـورَ نورٌ
ليس لليـل ضدّ نور سلاح
ولْ يا ليـل يقتـل النـورُ نورا
حيـن تنأى، وان دنـوت تزاح
وتطـلّع الـى حروب نجـوم،
واخفَ واهـرب متى أتـاك الصباح

ناي الأعمى

تخـذَ الـنـاي له أو فى خدين
جاعـلا شكـواه من دنيـاه ديـن

فقـد الـعيـن فلم يبـق له
غيـر مشجي النـوح في الدنيا معين
نافـخـاً في نايـه من روحـه
ناشـراً ذراتـهـا في العـالـمين
تخـذَ الـنـاي لسـانـا وفـمـا
حيـث يسـطيـع به بثّ الأنيـن
لم يجـد أبـلغ من أنـاتـه
منطقاً يفصح عن شكوى الحزين
يشـتـكـي كل الـى صاحـبـه
همّـه واليأس ربـح المشتكين
يوقـظ الـنـاي له في لحـنـه
ذكـريـات مبـهـمـات للسنين
ضمَّ في الـروح حنيـنـاً صامتـا
وغنـا الـنـاي صدى ذاك الحنين
في حنيـن الـروح نارٌ لو بدت
تحـرق النـايَ وروح السـامعين
روحـه قد أفـرغـت في نايـه
فاسـتـحـالـت زفـراتٍ ورنيـن

وكأن الناي قد رقّ له
فغدا يبكي بكاء الشاكلين
بثّ بالألحان ما تعجز عن
شرحه كل لغات الناطقين
رتب الحزنُ له أنغامه
دون أن يأخذها عن منشدين
وحباه البؤس فناً رائعاً
عجزت عنه عقول المترفين
خلته فوق ثقوب الناي إذ
يضع الأنمل وضع المبدعين
رقّ حتى رام اسكات فم
فاعتلت شكوى الاسى من آخرين
يبصر النور ظلاما ويرى
في الغنا نوراً لنا ليس يبين
من عيون الناي أضحت عينه
تبصر الأكوان لا كالمبصرين
بعيون الناي تبكي عينه
بنشيج خانه الدمع السخين

ترسمُ الأنغام إن رجّعتها
صوراً تعجز أيدي الراسمين
فيرى في اللحن دنيا رحبةً
تنجلي حينا وتخفى بعد حين
ذات أشباح كأشباح الرؤى
أو كأوهام عقول الجاهلين
إن في الالحان دنيا رحبة
عُميت عنها عيونُ الناظرين!

النملة

أرى في خواني نملة تطلب الغذا
فاتركها كالضيف، تأكل ما تهوى
أأطردها، ضيفا، خفيف مؤونة
صغيرة حجم لا تكلفني مأوى
وليس لها قصد بجسمي ولا دمي
غنية نفس، من سوى الكد لا تحيا
فليست بمكسالٍ ولا هي عالة
تكدّ لتحيا، لا تكل عن المسعى

الى قوتهـا تسعى، وتسعى لغيـرهـا
فتلقي دروسا، في التعاون لا تنسى
معـلمـتي، والأجـر حبّـة سكـرٍ
وفضل طعام ليس لي فيه من جدوى
تنظّـف لي أرض الـخـوان بدقـة
وتـذهب ضيفـا ما أخفّ ومـا أحلى
نظيفـة جسم، بل نظيفـة مأكـل
تكاد بفقد الصوت في سيرها تخفى
ولـيست ذبـابـا مزعجـا بطنينـه
له قذر في الجسم والأكـل والمرأى
تنـزههـا في السعي للرزق والعنا
ولـذتهـا في فعـل واجبهـا الاسمى
ومـاهمّهـا في اللهـو أو في بطـالـة
فليست تضيع الوقت في تافه الأشيا
ولـيـت لنـا منهـا مدرّس حكمـة
لنأخـذ علمـا من مدارسهـا العليـا
تعـلّمـنـا حبَّ الـنظـام، وفـنـه
وتـمنحنـا منهـا، بتـربيـة مثلى

لها همّة، في حمل أضعاف حجمها
فان لم تطق عادت له كرّة أخـرى
تجـاذبـه، لا يدخـل اليأس قلبهـا
ولا هي من أتعـابهـا تشتكي البلوى
وقـد تنتهي الآمـال منـا لخيبـة
سوى النمـل يبقى عنده الأمل الأقوى
مغـامـرة إن عاقهـا المـاء أصبحت
وأصحـابهـا جسـرا وأدركت البغيـا
فمـنـهـم رفـاق واصلون ومـنهم
على المـاء قد طافت لهم جثث غرقى
كذا فليغـامـر مثلهـا كل ذي منى
ومن يطلب العليـاء لم يطلب البقيا
فمـنـهـم رفـاق واصلون ومـنهم
على المـاء قد طافت لهم جثث غرقى
كذا فليغـامـر مثلهـا كل ذي منى
ومن يطلب العليـاء لم يطلب البقيا
همـامـة نفس لم تفـاخـر بنفسهـا
فأعمالها تنبي عن العزم لا الدعوى

تطوف في الدنيا، وتأوي لبيتها
فليست ببيت غيره عينها تغفى
فلا سهر في ليلها أو تشرد
رقاد الى أن يأذن الصبح بالمسعى
وليست كأنواع الهوام، من الدجى
قد اتخذت ستراً لعيشتها الدنيا
ولكنها مثل النهار، صريحة
لما وثقت من أن عيشتها فُضلى
ويا نملة جاءت تُقلُّ جريحة
من النمل هل تبغي الذهاب لمستشفى
فياليت اني أقتفيها لعلني
أرى دار إسعاف لهم تسعف الجرحى
ولكن رمتها بعد حين كأنها
رأتها ستغدو عن قريب من الموتى
فظلت تعاني النزع أرنو لها أسى
الى أن قضت لم تبد من فمها شكوى
وكانت إذا مرّت عليها لداتُها
تبادلها شما وتتركها حسرا

فكانت تشم الموت منها فتنثني
وقد يئست منها، لهامشية حيرى
عساهن لما عُذْن منها بحسرة
يخبّرن عن أحوالها أمها الثكلى
فلو انني داويتها لي ضيفة
لكنت شفيت النفس من زفرة حرّى
ولكنها ماتت لديَّ غريبة
فوالهفي قد أصبحت جثة ترمى
رثى لي صحابي إذ رثيت لنملة
وليس لها ذنب سوى انها صغرى
يقولون صغرى أحزنتك حقيرة؟
ولا فرق صغرى كانت الروح أو كبرى
وأحنو على الصغرى أشد من الكبرى
فعطفي عليها كلما صغرت، أسمى
ويا نملة فاقت حجانا بعقلها
ولكن غرور الجهل فينا قد استعلى
تحدّث إذ تلقى سواها بصمتها
وتحكي بما شاءت ففي صمتها نجوى

تؤدي معانيها بدون تكلم
وتحكي كلاما مستمرا بلا معنى
أتت فوق شعري وهي تمشي طروبة
كأني بها شمّت به وصفها الأوفى
تلته وقد مرّت تشم حروفه
فراحت به من فرط لذتها نشوى
فحسبي منها وحي شعرٍ أخذته
فجئت من الأشعار بالمثل الأعلى
فزدت لها رزقا لشكر صنيعها
ببذلي لها صحنا من الحب والحلوى
أرى النمل مثل الطفل بالحلو مولعا
فأن خطفته نملة ركضت جذلى
لقد كرّم النمل الاله بسورة
وكان سليمان النبيّ بها أدرى
ولكنني أعطيتُ كامل وصفه
فاصبح عن أوصاف غيري قد استغنى
فان يع معناه، أتت كل نملة
بحبتها لي، وهي جائزتي العليا

فكان لديَّ الحبّ قمح وغيره
حكى جبليْ نعمان في الحجم أو رضوى

أوراق الشعر

أهيّء أوراقا لشعري، أنيقةً
فيهرب مني الشعر مزدريا أمري
و آتيه بالأوراق صفرا، عليلة
فيأوى لها، جذلان يطفح بالبشر
فشعري كروحي، فائق متواضع
يميل الى كوخ، وينأى عن القصر
يشاهد في الطرس الأنيق تصنّعا
فيشعر في ذاك التصنّع بالأسر
ويبصر اهمالاً بطرسٍ مشعّث
فيسكن فيه، عائشا عيشة الحر
أناقة أوراق، وشعر تصنع
لهم وانظروا هذي الطلاقة في شعري
أطوف نواحي الكون فيما أقوله
وأقوالهم طرّا بناحية تجرى

بنوا شعرهم بيتا على بيت آخر
فلاحت لنا الأشعار قبراً على قبر
ج بدٌ وعظمٌ دوّنا وحيَ أحمد
ودوّنت أشعاري على ورق الصرّ
وعيدان كبريت بحرق حروفها
كتبت بها الأشعار سطرا الى سطر
وما ذاك بخلا غير أني مجرّب
فرارا لها إن جئت بالطرس والحبر
ومذ طالبتني النفس للشعر سائغاً
بقصر من الأوراق أسكتها زجري
فقلت على شعري أرى الكوخ زائدا
فمسكنه في الروح والقلب والصدر
يجيء إلي الشعر من غير دعوة
ويهرب إذ أدعوه بالفكر والخمر
تشابههم أشعارهم في حياتهم
وشعري مثلي خالد الروح والذكر
ولست بنّظام لدرٍ أصوغه
ولكنني أرنو لمنتظم الدرٍّ

عين الشاعر

لعن الله علة تركتني
رغم أنفي أعيش عيشة شاعر
أنا لو لا سقمي نظمت شعوري
في مساعٍ محفوفة بالمخاطر
وأريت الدنيا قصائد مجدٍ
لم تقطع بغير بيض بواتر
سخر البعض من حياتي واني
مثلهم من حياتي اليوم ساخر
انني مثلهم أحاول سعياً
غير اني عما أحاول قاصر
ورثى البعض لي واني لارثي
لعقول ترثي لبؤس ظاهر
وغدا البعض حاسداً لنبوغي
ونبوغي ـ ان صحَّ ـ احدى الخسائر
وارتأى البعض انني فلسفي
إذ رآني أسير حيران سادر

غفل الكل عن سريرة نفسي
واكتفوا عند حكمهم بالمظاهر
إن شعري لتسليات عليلٍ
أرغمته على الخمول المقادر
منيتي في الحياة جسم صحيح
ومساع غرٌ وعيش مغامر
كنت أسعى للمجد مذ كنت طفلاً
وبعينيَّ للطموح أمائر
رحت أمشي مسدد الخطو لكن
عثرت أرجلي بجد عاثر
دُهش البعض إذ رآني عزيزاً
وكغيري بالشعر لست أتاجر
أبدا أمنح الصعاليك عطفاً
ثم أبدي تكبّرا للاكابر
نظر الناس إلي فحاروا بأمري
وأنا مثلهم بأمري حائر
أنا إما أن لا أكون كغيري
شاعراً أو أكون وحدي الشاعر

مراجع الكتاب

* استقصاء واتصالات شخصية بالشاعر وعائلته.
* كتاب (عبقرية الصافي) للاستاذ (ابراهيم عبد الستار).
* كتاب (أعلام النهضة في القرن العشرين) للاستاذ (نجيب مسعد).
* ديوان (الأمواج) للشاعر.
* ديوان (أشعة ملونة) للشاعر.
* ديوان (الأغوار) للشاعر.
* ديوان (التيار) للشاعر.
* ديوان (الحان اللهيب) للشاعر.
* ديوان (هواجس) للشاعر.
* ديوان (حصاد السجن) للشاعر.
* ديوان (اللفحات) للشاعر.
* ديوان (الشلال) للشاعر.
* ديوان (شرر) للشاعر.
* كتاب (رباعيات الخيام) تعريب (احمد الصافي النجفي).
* كتاب (هزل وجد) للشاعر الصافي (نثر).
* ديوان (الهوى والشباب) للشاعر (بشارة الخوري).
* كتاب (ابو فراس الحمداني) لـ (احمد ابي حاقة).
* كتاب (روابط الفكر والروح بين العرب والفرنجة) لـ (الياس ابو شبكة).
* كتاب (دراسات في الأدب العربي وتاريخه) لـ (احمد الشعراوي).
* مجلة (الرسالة) اللبنانية.
* مجلة (الرسالة الجديدة).

مراجع الكتاب

* مجلة (الأسبوع) البغدادية.
* مجلة (أهل النفط).
* مجلة (الأعتدال) النجفية.
* مجلة (الآداب) البيروتية.
* جريدة (كل شيء).
* جريدة (الأيام).
* جريدة (الجزيرة).
* جريدة (الزمان).
* (الأسبوع) ملحق جريدة (الشعب).

****

المحتويات

****

رقم الأيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٢٣٧) لعام ١٩٨٩

دار الحرية للطباعة ـ بغداد